"تسليم نحوي"

فاعلية التراث النحويّ في الدراسات النحويّة والنقديّة المعاصرة

Efficacy of Syntactic Legacy in the Contemporary Critical Syntactic Studies

أ.د. مها خيربك ناصر
Prof.Dr.Maha Kheirbick Nasar

لبنان/ الجامعة اللبنانيّة– بيروت / قسم اللغة العربية
Dept of Arabic , University of Lebanon , Beirut, Lebanon

drmaha_h86@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

* في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٨٧.
* القاموس المحيط، مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، اشراف محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨.
* كتاب التعريفات، علي بن محمد شرف الدين الجرجاني، دار الايمان_الإسكندرية، د.ط، ٢٠٠٤.
* كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا_بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦.
* كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤.
* كمال الدين وتمام النعمة، ابن بابويه، محمد بن علي، الإسلامية، طهران١٣٩٥ هـ، ط٢.
* لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، د.ط. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر. د.ت.
* اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي_الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨.
* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: كامل محمد د عويضة. ط(١). بيروت.
* مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الانصاري، دار الفكر، ط٥، بيروت لبنان، ١٩٧١.
* مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، تح: عبد الحميد هنداوي، لبنان-بيروت، دار الكتب العلمية، ط١
* مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، احمد الصاوي، منشأة المعارف، مصر، ١٩٩٩.
* مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، د.ط، ١٩٩٧.
* المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه، السيد عبد الرضا الشهرستاني
* موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات_بيروت_باريس، ط٢، ٢٠٠١.
* النظرية الحجاجية: من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة ٢٠٠٥.

المدرسين، قم ١٤٠٤ هـ، ط٢.
* التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨.
* التصوير والحجاج: نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ، محمد مشبال، مجلة عالم الفكر.
* التلقي والتأويل، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٤.
* الثنائيات الضدية بحث في المصطلح والدلالة، سمر الديّوب، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط١، ٢٠١٧.
* الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي_ بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.
* خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.
* دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، سامية الدريدي. عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠٠٩.
* دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني تعليق: محمود محمد شاكر. القاهرة، مكتبة الخانجي. ط (٣). سنة ١٩٩٢م.
* دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١.
* دلائل الإمامة، الطبري الآملي الصغير، محمد بن جرير بن رستم، البعثة، إيران؛ قم١٤١٣ ه، ط١.
* دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي_ الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٢.
* ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه: احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
* رسالة في المنطق، إيضاح المبهم في معاني السلم، أحمد دمنهوري: ١٤٢٧هـ، ط٢، مكتبة العارف، بيروت.
* شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، النعمان بن محمد ابن حيون (ت٣٦٣هـ)، جماعة المدرسين بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤٠٩ هـ.
* شرح المفصل، ابن يعيش الموصلي، تصحيح وتعليق: جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، مصر: ٨/ ٩٥.
* الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، لعلي بن احمد المدني الشيرازي، المتوفى سنة: ١١٢٠ هجرية، طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام الأولى، سنة: ١٣٨٣ هجرية، مشهد / إيران.
* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجبل. ط٤. ج١. سنة ١٩٧٢.
* عندما نتواصل نغير، عبد السلام عشير، افريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٦.
* عيون المناظرات، أبو علي عمر السكوني، تح: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٦.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن، الأعلمي، بيروت١٤٢٥ هـ، ط١.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤.
- استراتيجية الخطاب في المناظرة السياسية (بحث)، المركز العربي للبحوث والدراسات، سلسلة دراسات، قطر_الدوحة، ٢٠١٣.
- الاستعارة عند المتكلّمين، أحمد أبو زيد، مجلّة المناظرة، العدد ٤، ماي، ١٩٩١.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩.
- اسرار البلاغة، عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة المدني القاهرة، د ت
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط١، ١٩٨٤.
- الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لإصول الأساليب الأدبية، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية_القاهرة، ط٨، ١٩٩١.
- الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: عبد المنعم خفاجى، الطبعة الخامسة، الكتاب اللبناني.
- بحار الانوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، قدّم له وعلق عليه وخرّج أحاديثه: مصطفى عبد القادر عطا، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. سنة٢٠٠٧م.
- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨.
- البلاغة والتداولية، صابر حباشة، مقال، منتديات مغرس الأدبية، ٢٠١٠.
- بهجة النظر في إثبات الوصاية والإمامة للأئمة الاثني عشر، البحراني، السيد هاشم بن سليمان، مجمع البحوث الإسلامية في الروضة الرضوية المقدسة، مشهد١٤٢٧ هـ، ط٢.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضي، د.ط. بيروت: دار مكتبة الحياة. د.ت.
- التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٣٤.
- تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، الناشر: جماعة

٧٠) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الانصاري: ١/ ٩٧

٧١) كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤: ٤/ ٢١٧.

٧٢) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش الموصلي، تصحيح وتعليق: جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، مصر: ٨/ ٩٥.

٧٣) ينظر: لسان العرب: مادة حبو.

٥٢) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن، الأعلمي، بيروت١٤٢٥ ه، ط١: ٥/ ٢٩٦.

٥٣) يُطلق على شيءٍ أنه ضد شيء إذا كان عكسه ومبايناً عنه، ونقيضه أن يكون أمران متشابهان إنما متعاكسان. ينظر: رسالة في المنطق، إيضاح المبهم في معاني السلم، أحمد دمنهوري: ١٤٢٧هـ، ط٢، مكتبة العارف، بيروت: ٦٥.

٥٤) الثنائيات الضدية بحث في المصطلح والدلالة، سمر الديّوب، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط١، ٢٠١٧: ٣٥.

٥٥) دلائل الامامة: ٤٦٤.

٥٦) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، الإسلامية، طهران١٣٩٥ ه، ط٢: ١/ ١٥٢.

٥٧)البلاغة والتداولية، صابر حباشة، مقال، منتديات مغرس الأدبية، ٢٠١٠. _

٥٨) لسان العرب: مادة كني

٥٩) مفتاح العلوم:٦٣٧.

٦٠) الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: عبد المنعم خفاجي، الطبعة الخامسة، الكتاب اللبناني: ١٤٢.

٦١) البلاغة والتطبيق: ٣٧٠.

٦٢) دلائل الاعجاز:٧١.

٦٣) الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ: ٨٧.

٦٤) كمال الدين وتمام النعمة: ١/ ٢٨٨.

٦٥) الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، لعلي بن احمد المدني الشيرازي، المتوفى سنة: ١١٢٠ هجرية، طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام الأولى، سنة: ١٣٨٣ هجرية، مشهد / إيران: ٣/ ٢٨٦.

٦٦) والمقصود بالتعريض: إطلاق الكلام والاشارة الى معنى آخر يفهم من السياق، ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، بيروت، المكتبة العلمية الجديدة، ١٩٨٦: ١٩٤.

٦٧) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، الناشر: جماعة المدرسين، قم١٤٠٤ ه، ط٢: ٤٥٩.

٦٨) دلائل الامامة: ٤٥٣.

٦٩) في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٨٧ :٢٩١.

٣٣) التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٣٤: ٢٩.

٣٤) بهجة النظر في إثبات الوصاية والإمامة للأئمة الإثني عشر، البحراني، السيد هاشم بن سليمان، مجمع البحوث الإسلامية في الروضة الرضوية المقدسة، مشهد١٤٢٧ ه، ط٢: ١٦٥.

٣٥) النظرية الحجاجية، محمد طروس:٢٩.

٣٦) التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه: ٢٩.

٣٧) دلائل الإمامة، الطبري الآملي الصغير، محمد بن جرير بن رستم، البعثة، إيران؛ قم١٤١٣ ه، ط١: ٤٧٠-٤٧١.

٣٨) ينظر: لسان العرب: مادة قنا.

٣٩) ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه: احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥: ١٨٢.

٤٠) ينظر: لسان العرب: مادة جلا.

٤١) ينظر: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، النعمان بن محمد ابن حيون (ت٣٦٣هـ)، جماعة المدرسين بقم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤٠٩ ه: ٣/ ٣٧٩.

٤٢) عيون المناظرات، السكوني:١٥٢.

٤٣) اسرار البلاغة، عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة
المدني القاهرة، د ت: ٢٢.

٤٤) ينظر: مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، احمد الصاوي، منشأة المعارف، مصر، ١٩٩٩: ٨٢-٨٣.

٤٥) ينظر: الاستعارة عند المتكلّمين، أحمد أبو زيد، مجلّة المناظرة، العدد ٤، ماي، ١٩٩١: ٤٦-٤٧.

٤٦) اسرار البلاغة: ٢٠.

٤٧) مفهوم الاستعارة: ٩٠.

٤٨) اسرار البلاغة: ٧١.

٤٩) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨: ١٩٣

٥٠) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط١، ١٩٨٤: ٢٢١-٢٢٢.

٥١) اسرار البلاغة:٤٠.

١٦) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، تح: عبد الحميد هنداوي، لبنان- بيروت، دار الكتب العلمية، ط١: ٥٤٣.
١٧) خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ٢٠١٤: ٣٦.
١٨): لسان العرب: مادة مثل.
١٩) ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، قدّم له وعلق عليه وخرّج أحاديثه: مصطفى عبد القادر عطا، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. سنة٢٠٠٧م. :٢٥٩.
٢٠) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضي، د.ط. بيروت: دار مكتبة الحياة. د.ت: ٨، مادة مثل: ١١٠.
٢١) لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ج (١١): مادة مثل.٦١٣.
٢٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس. ٨: مادة مثل: ١١٠.
٢٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجبل. ط٤. ج١. سنة ١٩٧٢: ٢٨٠
٢٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: كامل محمد د عويضة. ط(١). بيروت:
دار الكتب العلمية. سنة ١٩٩٨م: ٢/ ١٧٦.
٢٥) الجمعة:٥.
٢٦)دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني تعليق: محمود محمد شاكر. القاهرة، مكتبة الخانجي. ط (٣). سنة ١٩٩٢م: ٦-٦٩.
٢٧) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩ :٨٨.
٢٨) عندما نتواصل نغير، عبد السلام عشير، افريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٦:٩٧.
٢٩) بحار الانوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان:٥١/ ٧٢.
٣٠) القرآن الكريم
٣١) لسان العرب: مادة ثقب
٣٢) دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، سامية الدريدي. عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠٠٩: ٩٥.

هوامش البحث:

١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤: ٤٧٦.

٢) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي_ بيروت، ط٢، ٢٠٠٧: ٤٥٩.

٣) ينظر: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١: ١٧٣.

٤) التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨: ٥٠.

٥) موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات_ بيروت_باريس، ط٢، ٢٠٠١: ١/ ٩٣.

٦) ينظر: دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي_ الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٢: ٢١٩.

٧) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الاسلوبية: ٨-١٦.

٨) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي_ الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨: ١٣٧.

٩) ينظر: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لإصول الأساليب الأدبية، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية_ القاهرة، ط٨، ١٩٩١: ٩٩.

١٠) استراتيجية الخطاب في المناظرة السياسية (بحث)، المركز العربي للبحوث والدراسات، سلسلة دراسات، قطر _الدوحة، ٢٠١٣: ٩.

١١) ينظر: التلقي والتأويل، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٤: ٣٨.

١٢) البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨: ١/ ٨٨.

١٣) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا_ بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦: ٤٥-٤٦.

١٤) التصوير والحجاج: نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ، محمد مشبال، مجلة عالم الفكر: ١٥٥.

١٥) دلائل الاعجاز: ٤٩.

الخاتمة

وعبر ما تقدم يمكن استنتاج الآتي:

١ــ إنّ خطابه تميز بانتقاء الحجج العديدة في إيصال المعنى الى المتلقي، على أنّ وسيلة الاقناع التي استعملها لم تكن لتؤثر في سامعيه ما لم تكن انعكاساً لأخلاقه، فضلا عن تطبيقاته الحياتية، والعبادية، والاجتماعية.

٢ــ إنّ النبي ﷺ قد رسم حدوداً لقضية إسلامية مهمة عبر كسبها ابهةً، ورفع قدرها بين المسلمين، فقد دعاهم الى التفكر، والتنبه، والإبصار لما سيكون مستقبلاً عبر استعماله للآليات الحجاجية.

٣ــ اعتماد النبي على التمثيل؛ لأنّه وسيلة حجاجية تؤثر في المسلمين من جهات عديدة، إذ ينقل العقل من حالته التصويرية العادية، الى حالة تصديقية، فالتمثيل محرك نفسي استعمله النبي للتبليغ والتأثير معتمدا فيه على أحدث تقنيات الحجاج.

٤ــ قصد النبي ﷺ بالاستعارة التأثير في سامعه واقناعه بحجية الظهور وإقامة دولة العدل، على أنّ تلك العبارات الاستعارية مألوفة، لكنّها تختلف عبر الأزمنة واختلافها تبعا للاماكن واللغات والثقافات.

٥ــ استعمال النبي ﷺ للكناية، لكثرة تأثيرها وقلة ألفاظها، ولمنزلتها؛ لكونها من الفنون البيانية المهمة والمؤثرة في المخاطبين، ولأنّها شملت وجهين: الحقيقي، والكنائي، ويساعد ذلك في تقريب المعنى بصورتين مختلفتين تخضع لإدراك المستمع.

فخالدٌ، وسقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا»[٧١] فضلا عن أنّ (الفاء) تنماز عن (الواو) في دلالتها عن العطف مع إفادة الترتيب، والتعقيب، و(الواو) تدل على مطلق المشاركة من غير ترتيب [٧٢]، وفي هذا الحديث افاد حرف الفاء تتابع الحجج وترتيبها والربط بينهما وتعاقبهما زمنيا، فمن السماع به الى الاتيان له ومن ثم مبايعته، وكل ذلك يجعل الحجج في تتابع، تخدم نتيجة واحدة هي أحقية المبايعة للحجة المنتظر وخليفة الله المهدي(عج).

وأُتبعت بعد ذلك ب (حبوا) ويقال: حبا الصَّبي: أي زحف على يديه وبطنه، أو تحرك ببطء على يديه وركبتيه، ويقال: حبا الشَّخص: دنا وقرُب [٧٣]، ونرى توظيف هذا اللفظ كناية عن المشقة، فأحقية المبايعة والنصرة للإمام الحجة (عج) واجبة ولو جاء الشخص زاحفا أو كان تحركه بطيئا وصعبا نتيجة الثلج، وكنايته ﷺ تلك جاءت لتبيين أهمية الأمر والمطلوب.

ومن هنا كان استعمال النبي ﷺ للكناية، لكثرة تأثيرها وقلة ألفاظها، ولمنزلتها؛ لكونها من الفنون البيانية المهمة والمؤثرة في المخاطبين، ولأنّها شملت وجهين: الحقيقي، والكنائي، ويساعد ذلك في تقريب المعنى بصورتين مختلفتين تخضع لإدراك المستمع.

بِهِ فِي زَمَانِ غَيْبَتِهِ لَأَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَر»[٦٤]، ومعنى الكبريتُ الأحمرُ: «الذَّهَبُ الأحمر، أو جوهرٌ يكون بنواحي وادي النّملِ الّذي مرَّ به سليمان عليه السّلام، أو هو مصنوعٌ يَعْمَلُهُ أهل الإكسير، أو هو حُراقاتُ الإكسير، أو لا وجودَ له بِالصّنعَةِ و لا بِالخِلقَةِ، و إنما يُذكَر؛ و لذلك قالوا: (أعَزُّ من الكبريت الأحمرِ)... فيما لا يكون و لا يوجَدُ»[٦٥]، وهو كناية عن ندرته، او الشيء الذي يصعب حصوله، والناس بفطرتهم تعارفوا على قولهم:(أعَزُّ من الكبريت الأحمرِ) للدلالة على الندرة والقلة، وتعدّ كناية يلازمها العرف، فقد صور النبيﷺ حالة الثبات بقول الامام الحجة(عج) والايمان بظهوره بالشيء النادر كندرة الكبريت الأحمر، ويمكن أن يعد الحديث تعريضا [٦٦] بهم لما سيكون مستقبلا من انكارهم الحق وجحودهم رغم بيان الأدلة والحجج على الإمامة والانقلاب على وصية النبيﷺ «**إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وَ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُم بِهِمَا وَ إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض**»[٦٧]، وقد أورد النبيﷺ حجةً فيها كناية يمكن أن يكتشفها القارئ، وعبر ذلك سيقر بصحتها ونتيجتها.

وقال النبيﷺ في حديث آخر: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقُومَ قَائِمُ الْحَقِّ، وَ ذَلِكَ حِينَ يَأْذَنُ اللهُ (عَزَّ وَ جَلَّ) لَهُ؛ فَمَنْ تَبِعَهُ نَجَا، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ هَلَكَ، – اللهَّ، اللهَّ، عِبَادَ اللهَّ، إذا سمعتم به فَأْتُوهُ وَ لَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهَّ (عَزَّ وَ جَلَّ) وَ خَلِيفَتِي**»[٦٨]، تستعمل إذا «مع المتوقع وقوعه، فالأصل في (إذا) أن يكون الشرط مقطوعا بوقوعه»[٦٩]، وتكون « ظرفا للمستقبل مُضمَّنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية عكس الفجائية» [٧٠] فجملة الشرط(إذا سمعتم) محتملة الوقوع، وجوابها (فأتوه فبايعوه) ربط بينهما بالفاء، وهو مثل الواو كلاهما حرف عطف، لذلك يقول سيبويه: «هي تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت (الواو) غير أنّها تجعل ذلك متّسقًا بعضه في أثر بعض، وذلك في قولك: مررت بعمر فزيدٌ

١_ المكنى به: وهو دلالة اللفظ الظاهر التي تقوم دليلا على مراد المتكلم.

٢_ المكنى عنه: وهو المعنى اللازم للمكنى الذي يرمي إليه الناطق بالكناية.

٣_ القرينة العقلية التي يفرزها سياق الكلام لترشد إلى المكنى عنه، وتمنع إرادة المعنى المكنى به»[٦١].

على أنّ الكناية أبلغ، وأكثر حجاجا من التصريح «فليست المزيّة في قولهم: (جمّ الرماد). أنّه دلّ على قِرى أكثر بل إنّك أثبتَّ له القرى الكثير من وجه أبلغ، وأوجبته إيجابًا هو أشدّ، وادعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصِحتها أوثق»[٦٢]. فعندما يفهم المتلقي معنى ما يقصده المحاجِج عبر التفكّر والتدّبر، سيكون وقع ذلك أكثر تأثيرا واقناعا من معناه الصريح؛ لأنّ المتلقي سيخضع ذلك المعنى إلى عملية ذهنية وعقلية، وبدوره المحاجج سيشرك المتلقي في العملية الحجاجية عبر الكناية، وعبر العملية الذهنية العقلية التي سيقوم بها المتلقي سيدرك العلاقة الدلالية التلازمية بين معنى (المكنى به) السطحي، و(المكنى عنه) المخفي الذي يريد المحاجج الوصول إليه، وبذلك يكون تقبل الفكرة والاقتناع بها اقوى من المعنى الصريح؛ لأنّها جاءت بعد أن توصل اليها المتلقي بعملية ذهنية وعقلية.

اذا فالكناية تمثل حجة يقصدها المحاجج قصدا الى عقل المتلقي، وهو بذلك ينقله إلى تعبيرٍ ودلالة أعمق من التعبير الكلامي الظاهر، فالكناية «واد من أودية البلاغة، ومقتل من مقاتل البيان العربي... وطريق جميل من طرق التعبير الفني... ووسيلة قوية من وسائل التأثير والإقناع، ولها أثر كبير في تحسين الأسلوب»[٦٣]، لذا نجد أنّ الكناية قد وردت كثيرا عند الرسول ﷺ في معرض احاديثه عن الامام الحجة (عج)، ومن ذلك قوله: «... **وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيراً إِنَّ الثَّابِتِينَ عَلَى الْقَوْلِ**

يَفْعَلُ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بِالْقَائِمِ الثَّانِيَ عَشَرَ مِنَ الْأَئِمَّةِ ع يَصْلُحُ لَهُ أَمْرُهُ فِي لَيْلَةٍ كَمَا أَصْلَحَ أَمْرَ نَبِيِّهِ مُوسَى عليه السلام وَ يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَيْرَةِ وَ الْغَيْبَةِ إِلَى نُورِ الْفَرَجِ وَ الظُّهُور»[٥٦]. على أنّ استعمال النبي صلى الله عليه وآله لهذه المفردة جاءت لتسبغ القدرة على ظهوره وقيامه وإقناع المتلقي وجذب عقليته بأنّ ظهوره حتمي، فعلينا تنظيم امورنا وتهيئة العدة لنصرته.

وعلى ذلك فاستعمال النبي صلى الله عليه وآله للاستعارة قصد بها التأثير في سامعه واقناعه بحجية الظهور وإقامة دولة العدل، على أنّ تلك العبارات الاستعارية مألوفة، لكنّها تختلف عبر الأزمنة واختلافها تبعا للاماكن واللغات والثقافات، وفي ذلك يقول أحد الباحثين: «إذا شاع في السياق البلاغي العربي تشبيه الشجاع بالأسد وجمال العيون بعيون المها، والقد بالبان، واللمعان بالدينار، والسواد بالليل... فهذه القيم الجمالية التي يعبر عنها على هذه الشاكلة في اللسان العربي تجد لها تعبيرات مختلفة في سائر الألسنة، وهذه التعبيرات كل في لسانه هي رصيد مشترك _ضمنيا_ بين متكلمي ذلك اللسان، يضمن تواصله واستمراره وجود المدونة الأدبية التي تحمل اللغة الصافية المعيارية التي تجسد تلك النماذج الكلية التي يستعيرها الشعراء وكتاب النثر الفني أو يطورونها، وتتحول تلك المستنسخات الشكلية تبعا للذوق الأدبي العام ولكيفية تلقي مستعملي تلك اللغة لها وبدرجة استيعابهم إياها»[٥٧].

المحور الثالث: التجليات البيانية والأثر الحجاجي للكناية:

الكناية لغة «أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنّى عن الأمر بغيره يكنّي كناية، يعني إذا تكلم بغيره ممّا يستدل عليه»[٥٨]، اما اصطلاحا، فيقصد بها «ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد لينتقل إلى ما هو ملزومه، وهو طويل القامة... وسُمِّي هذا النوع كناية، لما فيه من إخفاء وجه التصريح»[٥٩]، أو على أنّها «لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه»[٦٠]، وهي على ثلاثة أركان»

فضلا عن جوانب الحياة الأخرى بعد أن يقضي على الظلم والجور والعدوان، فيملأ الأرض عدلا ونورا. فلجوء النبي ﷺ الى حجاجية الاستعارة هنا لما لها من أهمية في درجة الاقناع والتأثير، فلفظ (ملء) أكثر وقعًا وتأثيرًا وايحاءً، فهو يعطي الامل والايمان بهذا المنقذ المخلص.

ونلحظ في الحديث الشريف ثنائية: العدل، والظلم، وهي ثنائية ضدية يختفي احدهما وراء الآخر، فوجود طرفٍ ينفي وجود الطرف الآخر[٥٣]، ولعل ورود هذه الثنائية يعني: « وجود نسقٍ ظاهر، وآخر مضمر يُستنتج استنتاجا، ولا يتعلق أمر الثنائيات الضدية بظهور طرف، وتخفي آخر وراءه، بل يتعلق بمتلقي هذه الثنائية الذي يؤولها، ويستقبلها بناء على تضاد الطرفين، وظهور طرف، وتخفي آخر»[٥٤]، فتوظيف النبي ﷺ لهذه الثنائية والربط بينهما جاء بغية إحداث تأثيرات خاصة لدى المتلقي، وقد استمد ﷺ هذه الثنائية من ثقافة التفاعل مع مجتمعه، فالمجتمع سيعيش ظرفا من الفساد والظلم سيقابله الإصلاح والعدل، على أنّ صحة ما يبشر به النبي ﷺ هي مما آمن به المسلمون جميعًا، ولم يخالف ذلك الا شرذمة قليلة ضلت طريقها، فظهور المخلص الموعود الذي سينشر العدل ويقضي على الظلم في جميع انحاء العالم من معتقدات المسلمين، بل إنّ ظهور المخلص من معتقدات العالم اجمع.

وفي حديثٍ آخر قال رسول الله ﷺ : « **الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَة**»[٥٥] ومعنى ذلك: إنه يهيئ له أسباب النصر، وأداء المهمة، وليس ما ذهب اليه بعض ممن اشتبه عليهم المعنى أنّ المهدي (عج) لا يكون صالحاً قبل ليلته تلك، ودليل ذلك قول الامام الصادق عليه السلام في حديثه لأحد صحابته: « كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو أَرْجَى مِنْكَ لِمَا تَرْجُو فَإِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ ع خَرَجَ لِيَقْتَبِسَ لِأَهْلِهِ نَاراً فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ وَ هُوَ رَسُولٌ نَبِيٌّ فَأَصْلَحَ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَمْرَ عَبْدِهِ وَ نَبِيِّهِ مُوسَى ع فِي لَيْلَةٍ وَ هَكَذَا

عقلًا، ويؤنس نفسًا، ويوفر أُنسًا»[٥١]. فعبر ذلك يمكننا استخلاص مزايا الاستعارة بـ: الامتداد، والافتتان، والجريان، والحسن، والعمق، وامتاع العقل، ومؤانسة النفس، فقد جمعت بين العقل والنفس وهما قطبان حجاجيان اساسيان، فالعقل وامتاعه، والفؤاد وملامسة مشاعرة ادعى الى الاقناع.

فالجرجاني صاحب الفكرة الأصل وله الفضل في نظريته الحجاجية للاستعارة، وان لم يتوفر المنهج الدقيق الذي يصل به الى نتائج مذهلة كما فعل طه عبد الرحمن في العصر الحديث وكيف صبغها بصبغة فلسفية دقيقة، والذي استفاد كثيرا من طروحات عبد القاهر الجرجاني لحجاجية الاستعارة.

وتأسيسا على ما تقدم فقد وظّف الرسول الاكرمﷺ الاستعارة الحجاجية في بيانه للمشروع الإلهي في الأرض، ألا وهو مشروع قيام دولة الامام المهدي (عج)، بقولهﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، قال ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي، يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً**»[٥٢]. شبه الرسولﷺ الأرض بالوعاء او الكأس، ثم حذفه وأبقى على لازمة من لوازمه وهو (ملء) فامتلاء الوعاء او الكأس بالماء ووصوله لأعلى حدٍ فيه ــوهو التعبير الحقيقيــ، دليل على امتلاء الأرض بالعدل وإقامة دولة الحق في بقاع الأرض كلها ــوهو التعبير المجازيــ. فما سيقوم به المنقذ أبلغ من الحقيقة، وما سيفعله بالمستقبل يزيد من ثقة المؤمنين به، الامر الذي حمل النبيﷺعلى الحجاج به، فمشروع المهدي (عج) مشروع إلهي، بشرت به جميع الأديان السابقة، ويشمل جميع العالم، على أنّ هذا المشروع لا يكون إلاّ بعد أن ينحرف المجتمع عن كل ما جاءت به الأديان من قيم ومبادئ وبعد أن تُملأ الأرض جورا وظلما وفقرا وخوفا، فيظهر الموعود المخلص حين تتوافر شروط ظهوره، فيصل بنا الى طريق الحق والكمال في السلوك والاعمال،

الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل وينقله إليه نقلًا غير لازم، فيكون هناك كالعارية»[٤٣]، فقد جعل الجرجاني الاستعارة في المعاني دون الالفاظ، وفي إطار سياقها ونظمها، ليتحقق فيها ما تطويه من سعة التصوير ورحابته[٤٤]، على أنّه بين وظائف الاستعارة، والتي منها الادعاء، فالاستعارة حركة في المعاني فضلا عن الدلالات، وليست حركة في الالفاظ، فالاستعارة طريقة من طرق الاثبات التي يقوم عليها الادعاء[٤٥]، فنلحظ هذا التصور للاستعارة والذي ظهر معارضا للتصور اللفظي البديعي، ولعل الجرجاني من اشد المدافعين عنه، فالاستعارة عنده «ضرب من التشبيه، ونمط من التّمثيل، والتّشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الاسماع والآذان»[٤٦]، فحجاجية الاستعارة من هنا تعني فعاليتها في التأثير على الاذهان والافهام، وكذلك تعني «نوعا خاصّاً من الاستدلال العقلاني ومن الفضائل المعرفيّة والإدراكيّة البعيدة عن الإلغاز والتّعميه»[٤٧].

وقد قدم الجرجاني تصورا بلاغيا آخر جمع فيه بين العقلي والنفسي، فعندما تقول: (رأيت اسدا) فإنّك «أفدت بهذه الاستعارة ما لولاها لم يحصل لك، وهو المبالغة في وصف المقصود بالشّجاعة، وإيقاعك منه في نفس السّامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وبأسه وشدته» [٤٨]، وقد رتب الجرجاجي على هذه الفكرة أنّ الاستعارة مجاز أو عمل عقلي [٤٩] تؤثر في المتلقي وتُثير انفعاله عبر عنصر الملاءمة، فاللفظ المستعار يجب ان يلائم المستعار له، ويكون ذلك بالانسجام بين اللفظ والمعنى، وبين الجو النفسي للمتلقي[٥٠].

ورأى الجرجاني بعد ذلك أن الطرق التي تسلكها الاستعارة متشعبة ولا نهائية، فهي: « أمدُّ ميدانًا، وأشدّ افتتانًا، وأكثر جريانًا، وأعجب حسنًا، وإحسانًا، وأوسع سعةً وأبعد غورًا، وأذهب نجدًا في الصناعة، وغورا من أن تجمع شعبها وشعوبها، ويحصر فنونها وضروبها، نعم واسحر سحرًا، وأملأ بكلّ ما يملأ صدرًا، ويمتع

ﷺ؛ هي علامة و دلالة لإثبات طروحاتهﷺ حول قضية المهدي(عج) وزيادة الاقتناع بها، فعِبر هذا التوضيح والتقريب سيعمد المتلقي الى النظر والتأمل، والفحص والتفكر، فكلامهﷺ يتجاوز حدود الزينة والزخرفة، او الحلية اللفظية، فهو صورة من صور الحجاج، فـ« كلمةٌ من كلامه بحرٌ من العلوم... وتحت كل نكتة... بحرٌ من الحقائق»(٤٢).

وبعد ذلك يمكننا القول: إنّ هذه الوسائل الإقناعية التي استعملها النبيﷺ هي عين الحجاج، فعبرها يلفت انتباه المسلمين بوسائل توضيحية للبشارة بالمهدي(عج) بتقريب المسافة بين المتماثلين التي اعتمدهاﷺ حججاً بُنيت على البرهان والاستدلال العقلي.

المحور الثاني: تشكّلات البيان في حجاجية الاستعارة:

إنّ المتتبع والقارئ للبلاغة القديمة سيجد أنّها تضاهي البلاغة الغربية في أمور عديدة، أبرزها ما يتعلق بالتداولية وخاصيتها، تلك التي تربط بين المرسل والمتلقي، والتي تمخضّت عنها صبغة حجاجية لمفاهيم بلاغية كثيرة، كالمجاز، والكناية، والتشبيه، والاستعارة... ولعل الاستعارة تمثل المقام الأول من توجه علماء البلاغة واللغة والنقد، فأشبعت درسًا وتحليلًا، فالمرسل يمكن له أن يستغل الاستعارة لإشراك المتلقي في الخطاب، وعبر ذلك يمكنه إقناعه والتأثير فيه، ومن هنا تبلورت قضية (حجاجية الاستعارة) عند عبد القاهر الجرجاني.

عُدّ عبد القاهر الجرجاني رائدا في توضيحه لمكانة الاستعارة، ومفهومها، وإبراز قيمتها، فهي عنده من ضمن المعاني، وقد تناولها في نظرية النظم _ التي برهن فيها فضل المعنى على اللفظ_، بقوله: « الاستعارة في الجملة يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدلُ الشواهد على أنّه اختصَّ به حين وضع، ثم يستعمله

السياقات فتخدع الأذهان بمظهرها الصارم، أو تنشيط الخيال بما تحمله من معلومات ملموسة»[٣٥] فقد شبّه الرسول الاكرم ﷺ المهدي (عج) بالطاووس، وهو من أجمل الطيور، وأكثرها بهرجة وزهوًا؛ لكثرة ريشه وجماله، والمقصود من ذلك التمثيل ومن علاقة المشابهة؛ الصورة الجمالية، فالطاووس يبعث راحة نفسية تنعكس آثارها على المتلقي، واستعمال الرسول ﷺ في هذا السياق الحجاجي لهذه اللفظة جاء ليوظف ذلك الخطاب بمقامه النفسي معتمدا في ذلك على تأثير هذه اللفظة ووقعها في نفس المخَاطب لينتقل بعد ذلك بالمتلقي من المجال الجمالي الى المجال العقدي؛ والمقصود بيان وجود وحقيقة المهدي المنتظر(عج) وقيامه، ومن ورائه الترويج لقضية الانتظار والظهور. فالتمثيل هنا يقوم باسقاط «علاقات مستفادة سابقا على مجال مجهول أو يبدع علاقات جديدة من منطلق تشابهٍ ما، فالذهن ينظر الى ما يجري أمامه من خلال الأحكام التي تكونت فيه على ضوء الخبرة السابقة، ولا تُعرف بدون إسقاط المعروف، ولا وجود لذهن فارغ»[٣٦] فالحجاج هنا جاء بأسلوبٍ جمالي يسعى عبره إلى الإقناع.

وقال رسول الله ﷺ «**لَيَقُومَنَّ عَلَى أُمَّتِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، أَقْنَى، أَجْلَى، يُوسعُ الْأَرْضَ عَدْلًا، كَمَا أُوسِعَتْ جَوْرا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِين**»[٣٧]، القَنا في الأنف: طوله و دِقَّة أَرْنبته مع حدَب في وسطه، و قد يوصف بذلك الصقر و البازي، وهو مَدْح[٣٨]؛ قال ذو الرمة[٣٩]:

نظَرْتُ كما جَلَّى على رَأْسِ رَهْوَةٍ من الطَّيْرِ، أَقْنَى يَنْفُضُ الطَّلَّ أَزْرَقُ

أما الأَجْلَى: فهو خفيف الشعر ما بين النَّزَعتين من الصُّدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته، وقيل: الأَجْلَى الحسنُ الوجهِ الأَنْزَعُ. إذا انحسر الشعر عن نصف الرأْس ونحوه فهو أَجْلى[٤٠] على أنّ هاتين الصفتين من أحسن صفات الجباه و الأنوف [٤١].

فهذه الصفات وغيرها التي اجتمعت في الامام الحجة (عج) وبيّنها رسول الله

كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون به غيبة وحيرة تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملأها عدلاً وقسطًا كما ملئت جورًا وظلما»[٢٩] .

جاء في لسان العرب: «شِهابٌ ثاقِبٌ أَي مُضِيءٌ. وثَقَبَ الكَوْكَبُ ثُقُوباً: أَضاء. وفي التنزيل العزيز: ﴿وما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾.[٣٠] قال الفرَّاء: الثَّاقِبُ المُضِيءُ؛ و قيل: النَّجْمُ الثَّاقِبُ زُحَلُ. والثاقِبُ أَيضاً: الذي ارتفع على النجوم»[٣١] فاستعمال النبي الاكرمﷺ لهذا التوصيف فيه دلالة صريحة لعلو منزلة الامام المهدي(عج) على من حوله، فضوؤه مرتفع وهو لديهم بيّن، فلا ضبابية في ذلك ولا شبهة، وبذلك يدحض الشك باليقين، عبر ملئه الأرض عدلا وقسطا، وهذه المفردة توحي بحتمية الوجود وحجة على المشككين والمنكرين، وتمثيل النبيﷺ لها في هذا الموضع لإقناع المتلقي بهذه الحقيقة عبر «تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه العلاقات؛ فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر»[٣٢]، فنلحظ النبيﷺ قد رسم حدودا لقضية إسلامية مهمة ورفع قدرها بين المسلمين، فقد دعاهم الى التفكر، والتنبه، والابصار لما سيكون مستقبلا.

على أنّ ربط النبيﷺ لصورة ظهور المهدي(عج) والشهاب الثاقب زاد من الحديث قوة حجاجية يمكن أن يستنتجها المتلقي عبر الضوء المرتفع الذي لا يمنعه شيء ولا ينكره أحد، وعلى ذلك فإن بيرلمان يرى أن التمثيل نمط من أنماط التدليل، فالذي يقول قاصدا التمثيل: «يبدو من المحال جدا الاستغناء عنه كلما تطرق العقل لميدان جديد أو مألوف قليلا»[٣٣].

وفي حديث آخر يقولﷺ « **المهديّ طاووس أهل الجنّة**» [٣٤].

إنّ الحجة التشبيهية للتمثيل تنشأ «كمعادلة بسيطة تتغاضى عن اختلاف

بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه، فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد، لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما ومثال ذلك قوله عزّ وجل: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾[٢٥][٢٦].

وعبر التعريفات اللغوية والاصطلاحية للتمثيل يمكننا القول: إن التمثيل هو التشبيه بين شيئين؛ لإيضاح فكرة معينة، او لكشف معنى استدعي عبر ضرب المثل، او عبر حال الممثل له، وإنّ استعماله يخضع لثقافة المتكلم أو المخاطِب، وعمره، وبيئته، فضلا عن الاحداث التي يمرّ بها والمواقف.

على أن المتكلم يربط بين صورتين تشبيهيتين ليتمكن عِبرها من الاحتجاج، وهذا ما عبر عنه الجرجاني بقوله: «واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته، كساها أُبّهة، ... وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ... فإذا كان مدحا، كان أبهى أفخم، ... وإن كان حجاجا، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر وبيانه أبهر»[٢٧] فقد صرح بأنّ التمثيل من الأساليب التي يعتمدها المتكلم في الاحتجاج.

ويعدّه بيرلمان: «طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مرتبطة»[٢٨].

فمفهوم كلامه أنّ التمثيل فضلا عن كونه إقامة علاقة مشابهة، فهو يتعدى الى علاقات بين أشياء غير مرتبطة، ولا يتماشى بعضها مع بعض.

ومن أمثلة ذلك قول رسول الله ﷺ : «**المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته**

والمِثل (بالكسر) متساويتان وكأنهما مترادفتان لمعنى المساواة في هذا التعريف. على أن الرازي قد فرق بين المعنيين، فالمَثل: المشاكلة من بعض الجهات، والمِثل: المساواة في جميع الجهات، وتمام الماهية[١٩]. وفي تاج العروس «والمثال بالكسر: المقدار، وهو من الشبه، والمثل: ما جعل مثالا أي مقدارا لغيره يحذى عليه.. وتماثل العليل قارب البرء فصار أشبه بالصحيح من العليل المنهوك»[٢٠].

ويدخل ضمن معانيها أيضا التصوير، «وماثل الشيء: شابهه، والتمثال: الصورة، والجمع التماثيل. ومثّل الشيء: صوره حتى كأنه ينظر إليه، وظلّ كل شيء تمثاله. ومثّل الشيء بالشيء: سواه وشبّهه به وجعله مِثله وعلى مثاله»[٢١].

ومما سبق تبين أن للتمثيل معنيين، هما التشبيه، والمساواة، فوجود الشبه بين موضعين، كأن يكون الشبه كليا، أو جزيئا، هو لعلاقة بينها فلا تكون المماثلة الا في المتفقين[٢٢].

أما في الاصطلاح فابن رشيق يدخله او يعدّه من التشبيه، فيقول: «والتمثيل والاستعارة من التشبيه، إلا أنهما بغير أداته وعلى غير أسلوبه»[٢٣]

ويذكر ابن الاثير أنّ قوما عدّوه من اقسام الكناية، فعرفوه بـ: « أن تراد الإشارة إلى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر، ويكون ذلك مثالا للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه، كقولهم فلان نقي الثوب: أي منزه من العيوب»[٢٤]

وفي كتابه « المثل السائر» ينكر عليهم ذلك؛ لأنه يرى أنّ الكناية هي تمثيل، والتمثيل يكون واضحا ومناسبا حينما تكون الكناية عِبر اللفظ المركب: (فلان نقي الثوب).

على أنه قد خلط بين الكناية والتمثيل، فلا فرق عنده بينهما، ومثال (فلان نقي الثوب) كناية عن النزاهة وصفتها، فضلا عن البعد عن الخطأ والعيب.

بينما فسره الجرجاني بالتشبيه الذي انتزع فيه وجه الشبه «من عدة أمور يجمع

عن الحجة والبرهان تبع الحق وأخذ به، وإن رأى أن له طريقا غيره أومى اليه ودلّنا عليه، وهيهات ذلك»[١٥]. وأشار السكاكي(ت ٦٢٦ هـ) الى الاستدلال بقوله: «إذا تحققت أن علم المعاني والبيان هو معرفة تراكيب خواص الكلام ومعرفة صياغات المعاني ليتوصل بها الى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائك، وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة الى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة واحدة من دوحتها، علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها من دوحتها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان»[١٦] فصاحب علم المعاني والبيان عند السكاكي شرطه أن يلتزم الاستدلال ويستوفي القدرة على التوظيف الدقيق لحججه، وأن يرتبها لتحقيق فاعليتها في الاقناع، فالمتكلم إذا أراد أن تكون له « نية التأثير في السامع عليه نظم الحجة والدليل في خطابه، ولهذا كان مفتاح السكاكي على علاقة بالحجاج، وما نظم الدليل إلا ما يقصده المحاجج من وضع حجة في كلامه ليقنع بها السامع»[١٧].

ومما تقدم يمكن أن نستنتج أنّ البلاغة القديمة اشارت الى ملامح الحجاج واهتمت بالدرس الحجاجي عبر فكرة المقام، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، فضلا عن شروط انتاج الخطاب وظروفه؛ كمبدأ القصد والمقام، واختيار الالفاظ والافتراض، فالآليات الحجاجية في البلاغة العربية ليس هدفها الفهم والافهام فقط، بل تسعى الى الاقناع والتأثير بالطرح المقدم، فمجال الحجاج هو المحتمل او لنقل شبه الحقيقي، أو المشكوك فيه.

المحور الأول: التجليات البيانية والأثر الحجاجي للتمثيل:

ننطلق من الجذر اللغوي للتمثيل فقد جاء في لسان العرب: «هذا مِثله ومثْله كما يقال شِبهه وشَبْهه بمعنى، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق، فمعناه أنه يسدّ مسدّه، وإذا قيل: هو مثله في كذا وكذا فهو مساو له في جهة دون جهة»[١٨] فالمَثل (بالفتح)

ثانيا: الحجاج في البلاغة العربية:

إنّ المتتبع لمقولات الأعلام القدماء في الشأن البلاغي العربي، ولمصادره القديمة، سيجد مساحةً مهمةً واسعة تجعل من الحجاج وغايته الإقناعية هدفا رئيسا لاهم مفاصل العلوم البلاغية، سواء كان على مستوى فهم القول البليغ وسماته، ومقاصد المتكلم واعتنائه بالمتلقي، ومراعاة مقتضى المقام، أو الحال، أم على مستويات نفسية واسلوبية تفرزها اللغة، هدفها وقصدها الاقناع والتأثير. فغاية البلاغة الرئيسة هي غاية حجاجية؛ لانّ البلاغة العربية إنما جاءت لتتواصل، وتقنع، وتمتع[١١].

فقد أعطى الجاحظ(ت٢٥٥هـ) للبلاغة وظيفة إقناعية، وهذا ما أشار اليه أحدهم في قوله إنَّ«جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها الى كناية عنها، وإذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ في الدرق وأحق بالظفر»[١٢]، وكذلك أشار العسكري (ت٥٩٣ هـ) الى البلاغة على أنّها: « التقرب من المعنى البعيد والتباعد من حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجاز في صواب وقصد الى الحجة وحسن الاستعارة»[١٣]، فإشارة الجاحظ والعسكري تقتضي استعمال الحجة وأن تكون بشكل حسن عبر تخير أفضلها، وموقعها في الكلام، واستعمالها في وقت مناسب، فالجاحظ « يمتلك القدرة على الاحتجاج للشيء ونقيضه، كأن يحتج للبخل ويظهره في صورة تدبير وإصلاح، أو يحتج ضده فيخرجه في صورة شائهة ساخرة تنزل بالبخلاء إلى اسفل الدركات»[١٤].

وصرح الجرجاني (ت٤٧١ هـ) في مقدمته لكتابه (دلائل الاعجاز) أنّ الكلام نظم رعايته توجب الاقناع وتحققه، يقول: « ينبغي لكل ذي دين وعقل أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه ويستقصي التأمل لما أودعناه، فإن علم أنه الطريق الى البيان والكشف

التمهيد: الحجاج في التراث العربي

أولا: الحجاج في اللغة والاصطلاح:

يمكن حصر المفهوم العام وتحديده ؛ فهو متواتر في الفلسفة، والبلاغة، والمنطق، فيمكننا القول إنّه لا يخلو خطاب من حجاج، إلاّ أنّ استعمالاته ووجوده يختلف من خطابٍ لآخر، فيبلغ درجةً عليا في القصد، والمناظرة، والجدل، والاتهام. فهناك الجانب الفلسفي الذي يرى الحجة هي» استدلال يرمي الى برهان قضية معينة او دحضها»[٥]، او كما اردف جورج بريسكو الحجاج ومعنى اللوغس (العقل المحض)[٦] او قول الدكتور عبدالله صولة مرادفا للجدل المنطقي، الذي يمكن استنتاجه عبر المقدمات الصادقة، على أنّ أصحاب المذهب الكلامي اختزلوه بعلاقة التعدية المنطقية [٧] والملاحظ في معنى الاصطلاح الفلسفي هو اختصاصه بالعقل، فلم يراعِ المخَاطب والمخاطِب في عملية التواصل كما ظهر عند الدكتور طه عبد الرحمن في تعريفه للحجة، بقوله: «الدليل الذي قصد للعمل به، ولتحصيل الغلبة على الخصم، مع نصرة الحق او نصرة الشبه»[٨]، فالغلبة، والخصومة لوازم تواصلية للحجة، فتداخل معنى الحجة بالمناظرة والجدل اللذين يستعملان في الاستدلال؛ لإظهار الرأي الصائب بين طرفي المناظرة[٩].

وعرِّف الحجاج بأنه: «العملية التي من خلالها يسعى المتكلم لتغيير نظام المعتقدات، والتصورات لدى مخاطبه»[١٠]، فنرى في هذا التعريف ظهور البعد التواصلي؛ فعملية التغيير تستلزم وجود طرفين، الأول: المغيِّر_المخاطِب_، والمتغيّر _ تصورات اللوغس_، والمغيَّر _ المخاطَب_ فتتم عملية التواصل.

حدّها الوظيفي _ وظيفتها الجمالية_ الى وظيفة إقناعية استدلالية، وتؤدي أغراضًا تواصليّة لإنجاز مقاصد حجاجية[٤].

ومن هنا جاءت فكرة البحث عن قراءةٍ للآليات البلاغية التي استثمرت الصور البيانية وغيرها من التقنيات الحجاجية التي وظفها النبي الأعظم ﷺ في أحاديثه لإقناع متلقيه، عبر الاستمالة الوجدانية، والموافقة الفكرية، والتأثير في السلوك العملي للبشارة بالإمام الحجة (عج).

لذا يمكننا أن نعدّ الحديث النبوي خطابا حجاجيا؛ لأنّه خطاب لإقناع الناس بمسائل في مجالات شتى، وحجج لمستويات مختلفة من المسلمين وغيرهم، على أن اختلاف المستويات _ مستويات التلقي_ يؤكد الصفة الحجاجية للحديث النبوي؛ لانّ ذلك من خصائص الخطاب الإقناعي، الذي عرّفه الدرس الحديث _ من الناحية الوظيفية_ بأنّه موجه للتأثير في سلوك المخاطب وآرائه.

وجاء البحث في تمهيد حمل عنوانا: الحجاج في التراث العربي، وتضمن فقرتين، أولا: الحجاج في اللغة والاصطلاح، ثانيا: الحجاج في البلاغة العربية، ووزع البحث على ثلاثة محاور، هي: المحور الأول :حجاجية التمثيل، المحور الثاني: حجاجية الاستعارة، المحور الثالث: حجاجية الكناية، وعلى خاتمة فيها أبرز النتائج التي توصل اليه البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع.

المقدمة:

إنّ الحديث النبوي مصدر التشريع الثاني بعد القرآن الكريم، ففهمه، ومعرفة أسراره، والعمل بما فيه، من متطلبات الإسلام، على أنّ المسلمين لا يستوون في فهم ألفاظه، وعباراته فضلا عن إدراك سمو بيانه، فالتفاوت بينهم أمر لا جدال فيه، فلا غرو أن نجد المسلمين يعنون بالحديث الشريف العناية البالغة في دراساتهم؛ لأنّه نصٌ بلاغيٌ في أعلى درجات البيان العربي من حيث جمال الالفاظ، والأساليب المتنوعة، والصور، والتراكيب فضلا عن مستويات التعبير، وكيف لا وقائله رسول الله ﷺ أفصح العرب، والذي أوتي جوامع الكلم، وفصل الخطاب، ولا ينطق عن الهوى، وليس بشاعرٍ، وهذا ما أكده القرآن الكريم. فحديثه دون كلام الخالق، وفوق مستوى البشر.

والاهتمام بالحديث النبوي _في مستوياته المختلفة_ ثريٌ جدا، فقد عُني علماء العربية درسا وتحليلا، وكذلك اهل الشريعة، والفقه... وغيرهم، وشملت تلك العناية أيضا؛ إجراءات على مستوى الاستعمال اللغوي، وتحليل الخطاب، فضلا عن مستوى الحجاج، وخاصة بعد نهاية القرن الماضي.

إنّ الخطاب الحجاجي يعتمد على تقنيات، وهذه التقنيات لا تختص بمجال دون غيره، فهي منساقة لاستعمال المتكلم لها، فهو يختار الحجة وطريقة بنائها على وفق سياق هذا الخطاب وحيثياته[1] وعلى هذا فآلياته لغوية أو منطيقة، أو يُضمّن خطاباته ((دلالات غير حرفية تضمنُ له التأثير والإقناع، وذلك عن طريق إثبات المعنى وإقامة دليل عليه، والمجاز يعوّض الحقيقة في تصوير المعنى وتقديمه تقديمًا حسنًا دون أنْ ينتج عن عملية التعويض هذه تغيُّر في المعنى الحقيقي))[2] فتسمى آليات بلاغية تتضمن؛ التمثيل، الاستعارة، والكناية[3] وهي بذلك تنتقل وتتجاوز

Abstract:

The graphic mechanisms have a sublime status among the arts of Arabic rhetoric in making the greatest impact on the soul. They depend on the image , its elements and the emotional impact that implies through the process of addressing the literary work. The graphic methods are special techniques in the orbital process, providing an argumentative energy that stimulates the recipient into searching for the relationships to bind them in the pictorial relationship . Then such an excitement will bring him into admission and acceptance.

The Prophet relies on these methods as an argumentative means affecting Muslims through many directions, so he transferred the mind from its pictorial state to the credibility of one of those parties. On the basis that this counts on the psychological process to obliterate doubt and suspicion. Therefore, it is found that the prophet excels in manipulating the glad tidings of the ever awaited Mahdi, may Allah expedite his resurrection, and reckons on such argumentation .

Key words:

pilgrims, prophetic hadith, good news, graphical mechanisms.

ملخص البحث

للآليات البيانية منزلة سامية بين فنون البلاغة العربية عبر إحداثها الأثر الأكبر في النفس، فهي تعتمد الصورة وعناصرها وما يشتمل عليه الخطاب من أثر وجداني عبر عملية المخاطبة في العمل الأدبي الذي يقوم مقام الحجة المنطقية والبرهان في العمل. فالأساليب البيانية تقنيات خاصة في العملية الحجاجية، توفر طاقة حجاجية تُثير المتلقي عبر البحث عن العلاقات التي تربط بينها في العلاقة التصويرية، ومن ثم ستحمله تلك الإثارة على الاقتناع والقبول.

وقد ظهرت تلك الأساليب في أحاديث النبي ﷺ بوصفها وسيلةً حجاجيةً تؤثر في المسلمين عبر جهات عديدة، فنقل العقل من حالته التصويرية الى التصديقية إحدى تلك الجهات، على أن ذلك يعتمد المحرك النفسي ليؤدي الى نفي الشك والريبة؛ لذا نجده ﷺ قد تفنن في صياغة تلك الأساليب للبشارة بالمهدي المنتظر(عج) معتمداً في ذلك على الحجاج.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الحديث النبوي، البشارة، الآليات البيانية.

"في التسليم للعترة الطاهرة"

الآليات البيانية الحجاجية في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله للبشارة بالإمام المهدي (عج)

Argumentative Graphic Mechanisms in the Messenger Speeches on Glad Tidings of Imam Al-Mahdi (May Allah expedite his resurrection)

م.م. ياسين خضير عبيس محسن
Asst.Lectur. Yassen Khudjheir `Abeis Muhassin
العراق/ مديرية تربية كربلاء المقدّسة
Iraq /Education Directorate of Holy Karbala

yassinaljanabe@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

* موسوعة الإمام العسكري عليه السلام: مؤسسة وليّ العصر (عج) / تحقيق : السيد محمد الحسيني القزويني وآخرون، إيران : مؤسسة ولي العصر (عج)، ١٤٢٦ هـ .

* موسوعة الإمام الهادي : مؤسسة ولي العصر (عج)/ إشراف : الشيخ مهدي الإسماعيلي وآخرون، إيران ـ قم : مؤسسة ولي العصر، ١٤٢٤ هـ .

* موسوعة العقائد الإسلامية : محمد الريشة / تحقيق : مركز بحوث دار الحديث، إيران ـ قم : دار الحديث، ١٤٢٥ هـ .

* موسوعة طبقات الفقهاء : اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام / تحقيق : جعفر السبحاني، قم : مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ١٤١٨ هـ .

* موسوعة طبقات الفقهاء : اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام / إشراف : جعفر السبحاني، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤١٨ هـ .

* موسوعة مكاتيب الأئمة عليهم السلام : الشيخ عبد الله الصالحي، د. م : د.ن، د .ت .

* ميزان الحكمة : محمد الريشة، د.م : دار الحديث، د.ت .

* نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : الحلواني / تحقيق : مدرسة الإمام الهادي عليه السلام، قم : مدرسة الإمام الهادي)عليه السلام(، ١٤٠٨ هـ .

* الوافي / الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ / تحقيق : مركز التحقيقات الدينية والعلمية، أصفهان : مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ١٤١٦ هـ .

(٨٤١ هـ) / تحقيق : أحمد الموّحدي، قم : مكتبة وجداني، د.ت .
* العقل والجهل في الكتاب والسنّة : محمد الريشة / تحقيق : دار الحديث للطباعة، بيروت ـ لبنان : دار الحديث، ١٤٢١ هـ .
* علوم البلاغة والبيان والمعاني : د. محمد أحمد قاسم و د. محيي الدين ديب، طرابلس ـ لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٣ م .
* علم اللغة : علي عبد الواحد وافي، مصر : مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧ م .
* علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي : د. محمود السعران، بيروت ـ لبنان : دار النهضة العربية، د.ت .
* علم المعاني : عبد العزيز عتيق (١٣٩٦ هـ) بيروت ـ لبنان : دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م.
* الفلسفة : السيد كمال الحيدري، د.م : دار فراقد، ١٤٢٩ هـ .
* فهرس التراث: محمد حسين الحسني / تحقيق : محمد جواد الحسيني، ١٤٢٢ هـ .
* القيادة في الإسلام : محمد الريشة / تحقيق : علي الأسدي، قم : دار الحديث، د.ت .
* كتاب الصلاة : تقرير بحث المحقق الداماد (١٣٨٨ هـ)، قم : مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤١٦ هـ .
* لسان العرب : العلّامة أبو الفضل جما الدين ابن منظر، بيروت : دار صادر، ٢٠٠٥ م .
* ما وراء الفقه : السيد محمد الصدر، قم : المحبين للطباعة، ط٣، ١٤٢١ هـ .
* المباحث المرضية المتعلّقة بـ (من) الشرطية: عبد الله بن يوسف بن أحمد (٧٦١ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دمشق ـ بيروت : دار ابن كثير، ١٩٨٧ م .
* المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء : الفيض الكاشاني (١٠٩١ هـ)، تصحيح : علي أكبر، قم : دفتر أنتشارات، ط٢، د.ت .
* مستدرك الوسائل : ميرزا حسين النوري الطبرسي(١٣٢٠ هـ)/ تحقيق : مؤسسة آل البيت ﷺ، بيروت ـ لبنان : مؤسسة آل البيت ﷺ، ط٢، ١٤٨٠ هـ .
* مستدرك سفينة البحار : الشيخ علي الشاهد (١٤٠٥ هـ) / تحقيق : الشيخ حسن بن علي، قم : مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩ هـ .
* مصادر الحديث الشيعية : تحقيق : الشيح حسن بن النماز، قم : مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٨ هـ .
* معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) / تقديم : محمد عوض مرعب والانسة فاطمة محمد، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩ هـ .
* مقدّمة في أصول الدين : الشيخ وحيد الخراساني، د.م : د.ن، د.ت .
* منهاج الصالحين : الشيخ وحيد الخراساني، د.م : د.ن، د.ت .
* موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ : الشيخ هادي النجفي، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣ هـ .

المصادر والمراجع :

* أعلام الدين في صفات المؤمنين : الحسن بن محمد الديلمي / تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم : د.ن .
* أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين (١٣٧١ هـ) / تحقيق : حسن الأمين، بيروت ـ لبنان : دار التعارف، د.ت .
* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : مركز الرسالة، قم : مركز الرسالة، ١٤٢٠ هـ .
* الأنوار البهية : الشيخ عباس القمّي (١٣٥٩ هـ) / تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي، قم : مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧ هـ .
* بحار الأنوار : العلّامة المجلسي (١١١١ هـ)، بيروت ـ لبنان : مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٣ هـ .
* البلاغة : مناهج جامعة المدينة العالمية، د.م: د.ن، د.ت .
* تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: ابن شعبة الحرّاني / تصحيح : علي أكبر الغفّاري، قم : مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤٠٤ هـ .
* الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم المنذري (٦٥٦ هـ) / تحقيق: مصطفى محمد عمارة، بيروت ـ لبنان : دار الفكر، ١٩٨٨ م .
* التفسير المعادلاتي : غالب حسن، د.م : دار السيدة رقية، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
* جامع الدروس العربية : مصطفى الغلاييني، صيدا ـ بيروت : المكتبة العصرية، ط٢٨، ١٩٩٣ م .
* حروف المعاني والصفات : عبد الرحمن بن اسحاق / تحقيق : علي توفيق أحمد، بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤ م .
* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣ هـ) / تحقيق : عبد السلام هارون، القاهرة : مكتبة الخانجي، ط٤، ١٩٩٧ م .
* الخصال : الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ) / تصحيح : علي أكبر الغفاري، قم : مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ .
* الخير والبركة في الكتاب والسنّة : محمد الريشة / تحقيق : مركز بحوث دار الحديث، قم : دار الحديث، ١٤٢٣ هـ .
* الدرّ النظيم : يوسف بن حاتم الشامي (٦٦٤ هـ)، قم : مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت .
* الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة : الشهيد الأول (٧٨٦ هـ) / تحقيق : جلال الدين الصغير، د.م : د.ن، د.ت .
* رسالة في التعرّب بعد الهجرة ويليها نظرة في الحفاظ على المجتمع : الشيخ قاسم محمد مصري، قم : دار الغدير، ١٤٢٤ هـ .
* سرّ الإسراء في شرح حديث المعراج : الشيخ علي سعادت، د.م : مكتبة التشيع، ١٤١٦ هـ.
* شرح أصول الكافي : مولى محمد صالح (١٠٨١ هـ)، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١ هـ .
* شرح المفصّل للزمخشري : يعيش بن علي (٦٤٣ هـ) / تقديم : د. اميل بديع يعقوب، بيروت ـ لبنان : دار الكتب العلمية، ٢٠٠١ م .
* عدّة الداعي ونجاح الساعي : ابن فهد الحلّي

٤٧) أعيان الشيعة : ٢/ ٤١

٤٨) شرح أصول الكافي : ٩/ ٣٥٢ .

٤٩) ينظر : مناهج جامعة المدينة العالمية : ٤٠١ ـ ٤٠٣ .

٥٠) الدرّ النظيم : ٧٤٧ .

٥١) مستدرك الوسائل : ١٣ / ٢٩، عدّة الداعي ونجاح الساعي : ١٢٥، بحار الأنوار : ٩٠ / ٣٧٢، موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ : ٧ / ٣٣٩، مستدرك سفينة البحار : ٤/ ٤١٩، ميزان الحكمة : ٢/ ١٢٢٥.

٥٢) ينظر : لسان العرب (قنط) : ١٢ / ٢٠١ .

٥٣) بحار الأنوار : ٧٥ / ٣٧٨، موسوعة الإمام العسكري ﷺ : ٣/ ٣٠٦،

٥٤) ينظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : ١١ / ٢٥٣ .

٥٥) العقل والجهل في الكتاب والسنّة : ١٨١، ميزان الحكمة : ١/ ٤٦٢، موسوعة العقائد الإسلامية : ١/ ٣٤١ .

٥٦) منهاج الصالحين : ١/ ٤٦٦، الأنوار البهيّة : ٣١٩، الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة : ١١.

٥٧) موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ : ٩/ ٣١٣ .

٥٨) سر الإسراء في شرح حديث المعراج : ١/ ٢٢٢، منهاج الصالحين : ١/ ٤٦٥ .

٥٩) ينظر : لسان العرب (خبث) : ٥/ ٨ .

٦٠) بحار الأنوار : ١/ ٩٥، مستدرك سفينة البحار : ٢/ ١٠٣، أعلام الدين في صفات المؤمنين : ٣٠٣.

٦١) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : ١/ ٥٨ .

٦٢) بحار الأنوار : ٧٥ / ٣٧٧، مستدرك سفينة البحار : ١/ ٧٢، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : ١٤٥، أعلام الدين من صفات المؤمنين : ٣١٣ .

٦٣) بحار الأنوار : ٦٦/ ٤٠٧، موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ : ١/ ٤٥٨، ميزان الحكمة : ١/ ٨٠١، الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة : ٤٥، موسوعة الإمام العسكري : ٣/ ٣١٨ .

٦٤) الوافي : ٢٦ / ٢٨٥، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ٩٢، بحار الأنوار : ٧١ / ١٦٦، مستدرك سفينة البحار : ١/ ٦٩ .

٦٥) ينظر : القيادة في الإسلام : ٣٦٣ .

٦٦) ينظر : لسان العرب (شين) : ٨ / ١٨٠ .

٦٧) ينظر : المصدر نفسه : (زين) : ٧/ ٩١ .

٢٨) بحار الأنوار : ٧٥ / ٣٧٥، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام : ٤/ ٢١٢

٢٩) الوافي : ٢٦ / ٢٨٥، موسوعة طبقات الفقهاء : ٣/ ٢٤، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء : ٣/ ٤٠٥ .

٣٠) ينظر : جامع الدروس العربية : ٣/ ٢٤٥ .

٣١) الوافي : ٢٦ / ٢٨٥، مصادر الحديث الشيعية : ١/ ٣٣٨، الأنوار البهية : ٣١٨، مستدرك سفينة البحار : ١/ ٣٣٨، موسوعة الإمام العسكري عليه السلام : ٣/ ٣١٢، الخير والبركة في الكتاب والسنّة : ٢٥١ .

٣٢) ينظر : لسان العرب (برك) :٢ / ٧٠ .

٣٣) ينظر : المصدر نفسه : ٤/ ٣٨ .

٣٤) الوافي : ٢٦ / ٢٦٩، بحار الأنوار : ٧٥ / ٣٧٤، موسوعة الإمام العسكري عليه السلام : ٣/ ٣١٤، مقدمة في أصول الدين : ٤٦٢ .

٣٥) ينظر : لسان العرب (غبط) : ١١/ ٩.

٣٦) ينظر : لسان العرب : ١٤ / ٢٢٥ .

٣٧) ما وراء الفقه : ١/ ٩١، بحار الأنوار : ٦٧ / ٣٠٦، الأنوار البهية : ٣١٨، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) : ١٢ / ١٥٠، الخصال : ١٦ .

٣٨) ميزان الحكمة : ١/ ٤٩٥ .

٣٩) موسوعة الإمام العسكري عليه السلام: ٣/ ٣١٥، ما وراء الفقه : ١/ ٩١، الخصال : ١٦، بحار الأنوار : ٦٧ / ٣٠٦ .

٤٠) ينظر : لسان العرب (عبد) : ١٠ / ١٠ .

٤١) ينظر : المصدر نفسه : (فرض): ١١ / ١٥٩ .

٤٢) منهاج الصالحين : ١/ ٤٦٦، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله : ٤٤٢، مستدرك الوسائل: ١١ / ١٨٤، بحار الأنوار : ٦٨ / ٣٢٥، مستدرك سفينة البحار : ٧/ ٦٣، موسوعة الإمام العسكري : ٣/ ٣١٢ .

٤٣) ينظر : لسان العرب (فكر): ١١ / ٢١١ .

٤٤) ينظر : شرح المفصّل للزمخري : ٤/ ٥٢٢ .

٤٥) أعيان الشيعة : ٢/ ٤٢، الدرّ النظيم : ٧٣٣، موسوعة الإمام العسكري عليه السلام: ٣/ ٢٩٠، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام: ٣/ ٣٢، بحار الأنوار : ٧٥ / ٣٨٠ .

٤٦) ينظر: حروف المعاني : ٨/ ٣٠ .

هوامش البحث:

١) موسوعة طبقات الفقهاء : ٧٠ .
٢) ينظر : المصدر نفسه : ٧٠ ــ ٧١ .
٣) ينظر : المصدر نفسه : ٧٣ .
٤) ينظر : فهرس التراث : ١ / ٧٧٧
٥) موسوعة مكاتيب الأئمة : ٢/ ١٦٨ .
٦) المصدر نفسه : ٢/ ١٦٩
٧) ينظر : موسوعة طبقات الفقهاء : ٧١ .
٨) ينظر : المصدر نفسه : ٧٤ .
٩) معجم مقاييس اللغة (عدل) : ٧١٨ .
١٠) المصدر نفسه : (لغو) : ٩٢٢ .
١١) ينظر : التفسير المعادلاتي : بحث في الشبكة العنكبوتية / غالب حسن .
١٢) سورة إبراهيم : ٧.
١٣) ينظر : التفسير المعادلاتي / غالب حسن .
١٤) سورة الطارق : ١٧ .
١٥) علوم البلاغة : ٣٥٢ .
١٦) ينظر : علم المعاني : ١٥٠ .
١٧) ينظر : علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني : ٣٤٤ .
١٨) ينظر : المباحث المرضية المتعلقة بمن الشرطية : ٦٤ .
١٩) ينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ٧٢.
٢٠) رسالة التعرب بعد الهجرة : ٦١، ومستدرك الوسائل : ١٧ / ٣١٦، وبحار الأنوار : ٢ / ٢ .
٢١) رسالة التعرب بعد الهجرة : ٦١ .
٢٢) بحار الأنوار : ٧٥ / ٣٨٠، كتاب الصلاة : ٤/ ٢، موسوعة الإمام العسكري عليه السلام: ٣/ ٢٨٨.
٢٣) الأنوار البهية : ٣٢٠ .
٢٤) كتاب الصلاة : ٤ / ٢ .
٢٥) ينظر الفلسفة : ١/ ١٤٩ .
٢٦) ينظر : لسان العرب (مطا) : ١٤ / ٩٣ .
٢٧) ينظر : لسان العرب (درك) ٥/ ٢٤٨ .

الخاتمة :

استنتج البحث النتائج الآتية :

١. وردت العديد من المعادلات اللغوية في أقوال الإمام العسكري عليه السلام، بيّن من خلالها العديد من الأمور الدينية والدنيوية على السواء .

٢.جاءت بعض المعادلات اللغوية لتوضّح ما يجب أن يفعله الإنسان، ليصل من خلالها إلى طريق الآخرة ورضا الله عزّ وجلّ .

٣.جاءت المعادلات الأخرى في توجيه الإنسان نحو ما يجب عليه فعله في الأمور التي تخصّ دنياه، من احترام شعور الآخر، وحب الخير، واحترام المجالس، .. إلخ من الآداب التي تمثّل بها آل البيت عليهم السلام .

٤.ركزّت أقوال الإمام العسكري عليه السلام في توضيح المقابلات اللغوية، مثل : (السر والعلن)، (الدين و الدنيا) وغيرها العديد ؛ لبيان الأثر اللغوي والنفسي في كلّ طرف من طرفي المعادلة .

٥.كانت غالب أقواله عليه السلام معتمدة على أسلوب (القصر) أو أسلوب (الشرط)، أو كمال الاتّصال ؛ لأنّ هذه الأساليب تعتمد أساسًا على أطراف تؤدّي غرض المعادلة من المستثنى والمستثنى منه، والشرط والجزاء وهكذا دواليك .

٦.اعتمد الإمام عليه السلام العديد من الفنون البلاغية ؛ لإيصال فكره للمتلقي كالاستعارة والتشبيه والمجاز، ممّا يؤدّي باللفظ إلى القوة والجزالة في التعبير .

٧.اعتمد عليه السلام أسلوب النفي غالبًا في العديد من أقواله في الأمور الخاصة بما ينفع الإنسان في حياته من إرشادات ووصايا تخص الاقتصاد والشجاعة والعطاء، وغيرها الكثير في حياة الفرد .

٨.اتّضح ما للإمام العسكري عليه السلام كما للأئمة عليهم السلام من قدرةٍ وقوةٍ في التعبير واستعمال الأساليب المختلفة للتأثير في المتلقّي ؛ لكون الرسالة التي قاموا بإرسالها ذات أهميةٍ بالغة للإنسان في دينهِ ودنياه .

مهمّة هي مسألة الاقتصاد والإسراف فيما يخص المعادلة الأولى، أمّا المعادلة الثانية فقد تناولت مسألة الشجاعة والتهوّر والتمييز بينهما .

وقد بيّن ﷺ ذلك بوساطة أسلوب الشرط والجزاء، الشرط باستعمال (إن) الشرطية، والنتيجة جيء بها بوساطة استعمال أداة الربط (الفاء) .

١٣ . قال ﷺ : ((مَن وعظ أخاه سرًا فقد زانه، ومَن وعظه علانيةً فقد شانه)).[٦٤]

قد يستعمل الإنسان أساليب غير سليمة في التعبير عن النصيحة، مثل : استعمال التعابير الحادّة، والألفاظ الشائنة، اختيار ظروف غير مناسبة لطرح النقد . كلّ ذلك يؤدّي إلى النقد الهادم للشخصية . ينبع ذلك من طرق الجهل أو البواعث غير الأخلاقية أو الأسلوب غير السديد في طرح الأمور .[٦٥]

اتّضحت المعادلة في قوله ﷺ، الظاهر فيما يأتي :

* مَنْ وعظ أخاه سرًا / مَن وعظه علانية . الوصايا

* فقد زانه / فقد شانه . النتائج المقابلة للمعادلة

الشين / القبح والعيب،[٦٦] والزين / الجميل والحُسن،[٦٧] المعنى العام لقوله ﷺ هو مَن نصح أخاه في السرّ فقد قدّم له النصيحة دون إيذائه، ومَن نصحه علانية فقد آذاه ؛ لذلك أكّد ﷺ هذه المسألة لمراعاة مشاعر الإنسان من دون إحراجه .

استعمل ﷺ من جديد أسلوب التقابل اللفظي ؛ إذ تقابل لفظ (السر) مع (العلن)، مع مقابلة لفظ (الزين) مع (الشين) في تكوين المعنى الدلالي ممّا أكّد المفارقة في المعنى بين النصيحتين، والبعد الدلالي المختلف لكليهما .

كذلك استعمل أسلوب الشرط (مَنْ) مع الربط بأداة الربط (الفاء) ؛ لبيان السبب والنتيجة في القول المذكور آنفًا .

* أضعف الأعداء / مَنْ أظهر العداوة

بدأ عبارته عليه السلام بلفظة (خير) اللفظة التي تدلّ على كلّ شيءٍ نافع، أعقبها في المعادلة الأولى ذِكر (نسيان الذنب)، أكّد عليه السلام هذه المسألة مسألة (نسيان الذنب) ؛ لأنّ العفو والمغفرة أمرٌ شاق على النفس الإنسانية لا يستطيع إدراكها جميع الأفراد .

وقد عبّر عن ذلك بذِكر لفظتي (الخير) و(الذنب)، الخير الدال على كل عملٍ طيب وربطها بنسيان الذنب فيما يخصّ الإخوان ؛ لما تحويه هذه الألفاظ من دلالة كبيرة في التعبير عن المعنى البعيد .

يُلحظ أيضًا التقابل الدلالي بين طرفي المعادلة من خلال مقابلة لفظة (خير) بـ (ضعف) و لفظة (الإخوان) بـ (الأعداء) و (النسيان) بـ (الظهور) . كلّ ذلك ليؤكّد مسائل مهمّة تخصّ العلاقات بين الناس من خير وشر .

١٢ . قال عليه السلام : ((إنّ للسخاء مقدارًا فإن زاد عليه فهو سرف، وللحزم مقدارًا فإن زاد عليه فهو جُبن، وللاقتصاد مقدارًا فإن زاد عليه فهو بُخل وللشجاعة مقدارًا فإن زاد عليه فهو تهوّر)) . [٦٣]

ركّز عليه السلام في هذه الوصية على مسائل مهمّة تنفع الإنسان في حياته تعدّ نصائح وركائز على كلّ واحدٍ اتّباعها، لكي تصلح حياته، من ذلك المعادلة المطروحة في قوله عليه السلام، تُوضّح كما يأتي :

* للاقتصاد مقدارًا، الوصية / فإن زاد عليه فهو بُخل، النتيجة .

* للشجاعة مقدارًا، الوصيّة / فإن زاد عليه فهو تهوّر . النتيجة

في المعادلة الأولى يوّضح عليه السلام أهمية الاقتصاد دون البخل، والمعادلة الثانية يبيّن أهمية الشجاعة دون التهوّر .

ربط عليه السلام بين جميع المحاور اللغوية ليعرض مطلبًا دلاليًا محددًا في مسألةٍ حياتية

البيت إلّا بوساطة (المفتاح)، النتيجة من الحوار أنّ مفتاح كلّ خبيثة هو (الكذب).

١٠ . قال عليه السلام : ((حُسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمالٌ باطن)) . [٦٠]

أكّد الإمام العسكري عليه السلام أهمية جمال الباطن للإنسان في قوله : (حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن) ؛ إذ تقابلت الألفاظ بين (الصورة) و(العقل) في طرفي المعادلة، والمقابلة الثانية بين (الظاهر) و(الباطن) في النتيجة لكلّ من طرفي المعادلة .

طالما أكّد الأئمة عليهم السلام والرسول صلى الله عليه وآله مسألة حسن النوايا ؛ لأنّ الأشكال قد تدلّ على الصورة الحسنة للإنسان، لكنّ القلب هو ما يعبّر عن الأفعال ؛ إذ هي المفصل الأساس في التعبير عن حالة الإنسان و سلوكه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((إنّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، لكن ينظر إلى قلوبكم)) . [٦١]

تتضّح المعادلة بالآتي :

* حسن الصورة / حسن العقل . السبب

* جمال ظاهر / جمال باطن . النتيجة .

لم تُربط العبارة بروابط لفظية، إنّما جاءت مقرونة بها ؛ للدلالة على قوّة التماسك الدلالي بين المعادلتين، هذا الأسلوب المتمثّل بكمال الاتّصال في العبارات يؤكّد اتّصال العبارات اتّصالًا لا يمكن بحال الانفكاك عنه ؛ إذ أكّد بوساطة هذه العبارة كون الصورة تمثّل جمال الإنسان الظاهري، أمّا تمام العقل وهو المطلوب من الحياة يمثّل الجوهر الباطن للإنسان الذي لا يعادله أيّ شيء في هذه الحياة .

١١ . قال عليه السلام : ((خيرُ إخوانك مَنْ نسِي ذنبكَ إليه، أضعف الأعداء كيدًا مَن أظهر عداوته)) . [٦٢]

تتضّح المعادلة اللغوية جلّية من خلال الآتي :

* خير الإخوان / مَنْ نسي الذنب

يذكر عليه السلام في هذا القول مسألة مهمّة هي مسألة (الجهل) وأثره الكبير في حياة الإنسان، وبيان عظيم خطره على الفرد والمجتمع على السواء، هذا ما يخص الطرف الأول من أطراف الحوار . أمّا الطرف الثاني فقد نبّه على أهمية الحِلم في صلاح شأن الإنسان، يمكن توضيح المعادلة فيما يأتي :

* الجهل / سبب، نتيجته / المخاصمة للإنسان

* الحِلم / سبب، نتيجته/ الحكمة دائمًا .

لم يربط عليه السلام السبب بالنتيجة بأيّ رابط دلالي، وذلك من كمال الاتّصال بين طرفي القول وترابطهما في المعنى ترابطًا قويًا ؛ ليبيّن بذلك تكافؤ طرفي المعادلة وتساويهما في الدلالة والتعبير عن المعنى المُراد هو مجابهة الجهل، وملازمة الحِلم، ذلك ما أراده الإمام عليه السلام وما قصده من (المعنى البعيد) من هذا القول .

٩ . قال عليه السلام : ((جُعِلت الخبائث في بيت، وجُعِل مفتاحه الكذب)) . [٥٦]

ومنه قول الإمام علي عليه السلام : ((ثمرة الكذب المهانة في الدنيا والعذاب في الآخرة))[٥٧] ، و منه قول الإمام الصادق عليه السلام : ((الكذب مذموم إلّا في أمرين : دفع شر المظلمة، وإصلاح ذات البين)) . [٥٨]

بعد كلّ هذه الشواهد في نبذ الكذب، يمكن الرجوع إلى قول الإمام العسكري عليه السلام في مسألة الكذب وإيضاح المعادلة الحاصلة في ذلك القول :

* الخبائث مجموعة في بيت / مفتاح هذا البيت (الكذب) .

يتضّح أنّ نتيجة كلّ خبيثة هو (الكذب)، والخبائث جمع لكلّ فعلٍ مذموم محرّم، وكلّ ما يُستقبح من الأشياء والأفعال . [٥٩]

التشبيه الحاصل في قول الإمام عليه السلام كان بليغًا ؛ إذ اختار عليه السلام لفظة (البيت) و(المفتاح) للدلالة على الكلّ المجموع المتمثّل في هذا البيت، ولا يُستطاع الدخول لهذا

في المعادلة الأولى أكّد السبب من دون رابطة ؛ إذ ستكون نتيجة الإلحاح في أمر يصرّ عليه الإنسان العناء والتعب والهلاك، أمّا المعادلة الثانية فقد استعمل ﷺ أسلوب النهي الجازم فيما يخص طلب الحاجة ؛ لأنّها ستؤدي إلى ضيق القلب والقنوط الذي يدل على أقصى اليأس أو أشد اليأس [٥٢]، ولم يعبّر عنها بلفظةٍ أخرى لبيان أهمية عاقبة هذا الأمر .

عبّر ﷺ عن هذه الأمور باستعمال ألفاظ ذات دلالة كبيرة (القنوط)، (العناء)، وأكّدها بقوله ﷺ : (يغشاك القنوط) أي سيتملكك اليأس ولن ترجع إلى سابق عهدك من الراحة والسكينة، ترك الأمور لله ﷻ مع السعي في تحقيقها من الأمور المهمّة في نجاحه .

٧ . قال ﷺ : ((مَنْ مدح غير المستحق، فقد قام مقام المتّهم)) . [٥٣]

تمثّلت المعادلة في قوله ﷺ : (مَن مدح غير المستحق، فقد

قام مقام المتّهم) .

يُلحظ من اتّباع طرفي المعادلة أنّ مدح الذي لا يستحق يكون في مقام المتّهم، والمتّهم بالنتيجة مذنب غالبًا، المعادلة على النحو الآتي :

* مدْح غير المستحق . السبب

* يؤدي إلى الاتّهام / النتيجة .

أكّد ﷺ النتيجة بـ (قد) وقد هذه تفيد التوكيد والتكثير، [٥٤] مع بيان أنّه ليس متهمًا حقيقيًا إنّما (مقام المتّهم) في موضع الاتّهام ؛ ليؤكدﷺ مسألة الابتعاد عن مدح مَن لا يستحق، وهذا تأكيد لعظيم الأمر ممّا لو تضاعف الأمر، وقد عبّر عن ذلك بالاتّهام ؛ لأنّه سيدخل بذلك الأمر إلى مسائل عدّة مخالفة للدين منها الكذب، الرياء، النفاق، شيوع الفساد، كلّ ذلك بسبب هذا المدح الزائف الذي سيؤدي بدوره غلى كلّ تلك الأمور .

٨. قال ﷺ : ((الجهل خصم، والحلم حكم)) . [٥٥]

لأنّ له نتائج غير مرضية، هجر الأصحاب، ظلم الناس .. إلخ من الأمور التي نهى عنها الرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام .

يُلحظ التقابل الدلالي بين لفظتي (ركب) و (نزل)، وتوافق الدلالة بين لفظتي (الباطل) و (الندامة) ؛ إذ تكون الحصيلة الناتجة للباطل الندم على كلّ حال.

يمكن توضيح المعادلة بما يأتي :

* مَن ركب ظهر الباطل .

* نزل به دار الندامة .

٦. قال عليه السلام : ((ادفع المسألة ما وجدت التحمّل، فإنّ لكلّ يومٍ رزقًا جديدًا، واعلم أنّ الإلحاح في المطلب، يسلب البهاء ويُورث التعب والعناء، فاصبر حتّى يفتح الله لك بابًا يسهل الدخول فيه فما أقرب الصنع إلى الملهوف، والأمن من الهارب المخوف، فربّما كانت العبر نوع أدب من الله، والخطوط مراتب، فلا تعجل على ثمرة لم تُدرك، وإنّما تنالها في أوانها، واعلم أنّ المدبّر لك أعلم بالوقت الذي يصلح حالك، ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها، فيضيق قلبك وصدرك ويغشاك القنوط)) .[٥١]

وردت في قوله عليه السلام معادلتان الأولى : في قوله عليه السلام : (اعلم أنّ الإلحاح في المطلب، يسلب البهاء، ويُورث التعب والعناء)، أمّا الثانية في قوله عليه السلام : (لا تعجل بحوائجك قبل وقتها، فيضيق قلبك وصدرك ويغشاك القنوط) .

أكّد عليه السلام في هاتين المعادلتين مسألة مهمّة وهي الإلحاح في المطالب ؛ إذ لا بدّ لكلّ إنسان من التعب والسعي نحو أهدافه، لكن بمراعاة ما كتبه الله له ؛ إذ لو أجهد نفسه وتعجّل في نيل المطالب ستكون حينها عاقبته مؤذية وغير مرضيّة، يتبيّن ذلك من طرفي المعادلة :

* لا تعجل بحوائجك قبل وقتها / النصيحة .

* ضيق القلب والصدر، واليأس من الحياة / النتيجة .

كرامة الإنسان وحفظ حياته، بوساطة استعماله صيغة النهي الجازم المتمثّل بـ (لا) الناهية في كلا الطرفين المتعادلين، وربطها بالنتيجة بوساطة (الفاء) السببية، هذا النهي مؤكّد لمسألة الابتعاد عن المراء والمزاح وكلّ أمرٍ قد يؤدّي بالإنسان إلى ذهاب ماء وجهه .

٣.من أقواله ﷺ : ((ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تُذّله، لا يعرف النعمة إلّا الشاكر، ولا يشكرها إلّا العارف)) . [٤٨]

جاءت المعادلة في قوله ﷺ : (لا يعرف النعمة إلّا الشاكر، ولا يشكرها إلّا العارف)؛ إذ استعمل أسلوب القصر الذي يدلّ على الإيجاز والمبالغة، وتخصيص الشيء بالشيء، [٤٩] فقد خصّص ﷺ معرفة النعمة بوساطة الشكر لها، والشكر لها خصّصها بمعرفة النعمة، معادلة تبيّن أهمية شُكر النِعم التي يقدّمها الله للعبد والتي يجب شكره عليها .

وقد وردت المعادلة في قوله ﷺ :

* لا يعرف النعمة / لا يشكرها .

* إلّا الشاكر / إلّا العارف .

باستعمال أسلوب النفي مع الاستثناء الدال على الاختصاص والاهتمام بالمتقدّم في الوقت نفسه .

يمثّل هذا القول أيضًا أسلوبًا بليغًا من خلال الربط بين (النعمة و الشكر)، ومن خلال الربط بين (الشكر والمعرفة) ؛ إذ إنّ هذه العبارة ربطت بين معرفة النعمة وشكرها، وشكر النعمة ومعرفتها، فأدّت بذلك إلى ترابط المعاني المؤدية إلى (النعمة) من خلال الشكر لها ومعرفتها في الوقت نفسه .

٤.قال ﷺ : ((مَنْ ركب ظهر الباطل، نزل به دار الندامة)) . [٥٠]

التعبير المجازي الوارد في قوله ﷺ : (مَنْ ركب ظهر الباطل) له دلالات عديدة أهمّها اعتلاء الباطل والتعمّق فيه يؤدّي بالإنسان إلى الندم والحسرة في آخر الأمر ؛

بين الألفاظ الأخرى في كلا الطرفين من جهةٍ أخرى ؛ إذ بيّن عليه السلام أهمية (المنع) قبل بيان أهمية (العطاء)، كيف يكون ذلك ؟ لا بدّ لكلّ واحدٍ منّا أن يتعلّم أن يمتنع ويمنع نفسه من الأمور التي قد يحبّها وهي في الحقيقة ضارّة له على وفق المواقف التي يعيشها الإنسان على مر حياته .

وقد عبّر عليه السلام عن ذلك بوساطة الاسم الموصول (مَنْ)، مقرونًا بأداة النفي (لم) الدالّة على نفي الماضي وتأكيده ؛ لأنّ أداة النفي لم مختصة بنفي الماضي في المعنى .[٤٦] لتأكيد مسألة اجتناب الأمور الممنوعة على الإنسان قبل تعلّمه العطاء، والعديد من الدلالات البعيدة الضمنية للنص المطروح .

توضيحًا لقوله عليه السلام : انّ الإنسان لا بدّ من التزامه بالموانع التي منعها الله عزّ وجلّ عليه في الدنيا من ارتكاب المحرّمات وغيرها، عندها سيكون قادرًا على إعطاء نفسه وغيره فرصة الحياة الجيدة الهانئة السالمة، هذه إحدى الدلالات المطروحة من خلال التركيز على هذا القول .

٢.قال عليه السلام : ((لا تُمارِ فيذهب بهاؤك، ولا تُمازح فيتُجرّأ عليك)) .[٤٧]

ورد في هذا القول للإمام عليه السلام توضيحٌ لمسألةٍ مهمة وهي نهيه عليه السلام المراء والكذب، والنهي عن المازحة ؛ لأسبابٍ عدة سيتم توضيحها فيما يأتي من أسطر.

ويمكن تفسير المعادلة اللغوية بالآتي :

* لا تُمارِ / لا تُمازح . الشطر الأول من المعادلة

* فيذهب بهاؤك / فيُتجّرأ عليك . الشطر الثاني من المعادلة

كان قوله عليه السلام عبارة عن سببٍ ونتيجةٍ ؛ إذ مَن يُكثر الكذب والمِراء، تكون نتيجته ذهاب البريق والزهوّ من الوجه والنفس على السواء . وكثرة المزاح كذلك تؤدي إلى جرأة الناس عليك .

سبب ونتيجة في قولٍ واحد وضّحت العديد من النصائح التي قدّمها عليه السلام لحفظ

نفى عليه السلام كون العابد الحقيقي مَن يُكثر من الصلاة والصيام وغيرها من العبادات، إنّما العابد الحقيقي مَن يتفكّر ويتأمّل في خلق الله ؛ لأنّ التفكّر يؤدي إلى العبادة، فالعملية مطرّدة مع هذا الأمر .

وهو بذلك لا ينفي معنى التقليل من العبادات أو تركها ؛ إنّما على العكس من ذلك فقد أكّدها عليه السلام بوساطة تذكيره لارتباط هذه العبادات من (صلاة، وصيام) بكونها من الله سبحانه وتعالى، فالعملية مترابطة متلازمة بين طرفي المعادلة، لكنّها جاءت بأسلوبٍ بليغٍ أكثر من خلال توضيح هذا الارتباط الوثيق بين العبادات والتفكّر في أمر الله عزّ وجلّ .

وقد استعمل عليه السلام لتوضيح ذلك الربط بين طرفي المعادلة أداة الحصر (إنّما) التي تفيد التوكيد زيادة التأكيد على (إنّ) فضلًا عن إثبات الحكم للشيء المذكور دون غيره . [٤٤]

المبحث الثاني : معادلات لغوية في أقوال الإمام العسكري عليه السلام نافعة للإنسان في أمور دنياه :

أكّد الإمام العسكري عليه السلام في كثيرٍ من أقواله التي تنفع الإنسان في دنياه، وبيّن له من خلال تلك الأقوال ما ينفعه وما يضرّه في الوقت نفسه ؛ إذ عُدّت هذه الأقوال دستورًا للمسلمين من بعد القرآن الكريم، من ذلك ما يأتي :

١. قال عليه السلام : ((مَنْ لم يُحسن أن يمنع، لم يُحسن أن يُعطي)) . [٤٥]

في هذا القول معنى وبُعد دلالي كبير يتمثل بمسألة مهمة وهي مسألة (العطاء)، يتضّح ذلك من طرفي المعادلة :

* مَن لم يُحسن المنْع .
* لم يُحسن العطاء .

ذكر عليه السلام في طرفي المعادلة المقابلة بين لفظي (المنع) و(العطاء) من جهة، والتوافق

وأعمّ من لفظة الذنوب، لذلك وضع كلّ لفظٍ بما يناسبه .

هذه العبارات جاءت لتبين أنّ جزاء الثواب من جزاء العمل، سواء أكان بترك الحرام مطلقًا أم بترك الذنوب، وكلّ إنسانٍ وعمله .

٨.قال عليه السلام : ((أعبدُ النّاس مَنْ أقام الفرائض)) . [٣٩]

العبادة ((الخضوع للإله على وجه التعظيم))، [٤٠] و الفريضة ((ما أوجبه الله على عباده)) . [٤١]

استعمل عليه السلام في هذا القول كما في المثال السابق صيغة التفضيل (أفعل) في قوله: (أعبد) للدلالة والبيان على أفضل الناس في العبادة هو (مَن أقام الفرائض)، الفرائض التي أوجبها الله على كلّ مسلمٍ ومسلمة . هذه الفرائض هي التي تؤدّي بالإنسان إلى حسن العاقبة في الدنيا والآخرة .

وقد استعمل عليه السلام لفظة (أعبد) وهي اللفظة الأقرب لدلالة (الفريضة) ؛ لكون العبادات التي يقوم بها الإنسان في حياته قائمة على الفرائض التي فرضها الله عليه في حياته .

يمكن توضيح المعادلة اللغوية الحاصلة في قوله عليه السلام :

* أعبد النّاس .

* مَنْ أقام الفرائض .

٩.قال عليه السلام : ((ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنّما العبادة كثرة التفكّر في أمر الله)) . [٤٢]

(التفكّر) هو التأمّل في أمرٍ معين، [٤٣] جاء معنى التفكّر في الطرف الثاني من طرفي المعادلة، كما موّضح فيما يأتي :

* ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة .

* إنّما العبادة كثرة التفكّر في أمر الله .

يزرع الشرّ، ونتيجة كلّ فعل فالسرور عاقبة الخير في الدنيا والآخرة، والندم والأسف عاقبة الشرّ في الدارين أيضًا . المقابلة واضحة بين (الخير والشر)، و(الغِبطة والندامة) .

وقد استعمل عليه السلام أيضًا هنا أسلوب الشرط بوساطة اسم الشرط (مَنْ) للدلالة على توضيح وبيان المقابلة في المعادلة المذكورة آنفًا ؛ لأنّ المعنى المجازي من (زراعة الخير) هو عمل كلّ ما هو صالح ومفيد للمجتمع، و (زراعة الشرّ) تُطلق ويُراد بها الأعمال السيئة المنافية لكلّ ما هو صالح، وقد عبّر عليه السلام بلفظ (الزراعة) دون غيرها ؛ لكون الزراعة تؤدّي بالنتيجة إلى نماء الأشياء بعد أن كانت صغيرة .

٧.قال عليه السلام : ((أزهد الناس مَنْ ترك الحرام، أشدّ الناس اجتهادًا مَنْ ترك الذنوب)) . [٣٧]

في حوارٍ للإمام الباقر عليه السلام مع رجلٍ لمّا قال له : ((إنّي ضعيف العمل قليل الصلاة قليل الصوم، ولكن أرجو أن لا آكل إلّا حلالًا، ولا أنكح إلّا حلالًا ؟ قال عليه السلام: وأيّ جهادٍ أفضل من عفّة بطنٍ وفرج ؟ !)) . [٣٨]

وردت المعادلة اللغوية والدلالية في قول الإمام العسكري عليه السلام :

* أزهد الناس / مَن ترك الحرام

* أشدّ الناس اجتهادًا / مَن ترك الذنوب .

جاءت صيغة التفضيل (أزهد) في بيان مَن هو الأفضل في الزهد، وقد وضّحها عليه السلام بقوله : (مَن ترك الحرام)، وكان ذلك في مجال المقابلة الدلالية بين طرفي المقابلة؛ إذ ساوى بين الطرفين من خلال ذِكر (الأفضل زهدًا) / (الذي ترك الحرام)، ثمّ أعقبها بذِكر صيغة التفضيل في بيان (الأفضل اجتهادًا) / (مَنْ ترك الذنوب) .

والمفارقة الدلالية واضحة بين لفظتي (الحرام، والذنوب) ؛ إذ الحرام هو كلّ معصية يقوم بها الفرد سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، أمّا الذنوب فتكون للأمور الصغيرة التي يمكن للإنسان أن يتوب عنها، ويغفر الله له ؛ فلفظة الحرام أطلق

جاءت المعادلة في قول الإمام عليه السلام مساوية بين (المؤمن) و (البركة) و(الحجّة)؛ إذ يُلحظ التقابل الدلالي بين هذه الأطراف الثلاثة، فقد دلّت لفظة (البركة) على النماء والزيادة . [٣٢] أمّا (الحجّة) فمعناها ((البرهان، وقِيل : الحجّة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري : الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة)) . [٣٣]

من ذلك يتضّح أنّ المؤمن يقوى ويزدهر مع المؤمن، ليكون بذلك برهانًا عند المحاججة مع الكافر . ويمكن توضيح المعادلة بما يأتي :

* المؤمن .

* بركة على المؤمن، حجّة على الكافر .

وقد ربط بين طرفي المقابلة اللغوية بحرف العطف (الواو) الدال على المشاركة في المعنى بين طرفي المعادلة ؛ وذلك للمساواة والمشاركة بين هذين الأمرين .

واستعمل أسلوب كمال الاتّصال بين شقّي المعادلة المتمثّل في الشقّ الأول بـ (المؤمن)، والشقّ الثاني بـجملة (بركة على المؤمن، وحجة على الكافر) .

٦.قال عليه السلام : ((إنّكم في آجالٍ منقوصة، وأيامٍ معدودة، والموت يأتي بغتةً، ومَنْ يزرع خيرًا يحصد غِبطة، ومَنْ يزرع شرًا يحصد ندامة)) . [٣٤]

في سياق القول للإمام العسكري عليه السلام يُلحظ التقابل بين طرفي المعادلة واضحًا في قوله : (مَنْ يزرع خيرًا يحصد غِبطة، ومِن يزرع شرًا يحصد ندامة) .

طرفا المعادلة :

* يزرع خيرًا، الشرط / يحصد غِبطة، الجزاء

* يزرع شرًا، الشرط / يحصد ندامة، الجزاء

الغِبطة تُطلق ويُراد بها (النعمة والسرور)، [٣٥] والندامة تُطلق ويُراد بها (الأسف على الشيء)، [٣٦] يتضّح من ذلك من متابعة طرفي المقابلة الحال لَمن يزرع الخير، والحال لَمن

الأول، و(الفاء) التي ربطت السبب بالنتيجة الواردة في الطرف الثاني من المعادلة، وأسلوب الشرط كما ذُكِر آنفًا يربط السبب بالنتيجة ؛ إذ لا يمكن الاستغناء عن واحد من الطرفين (الشرط، والجزاء) .

٤.قال عليه السلام : ((خصلتان ليس فوقهما شيء : الإيمان بالله، ونفع الإخوان)) . [٢٩]

ساوى الإمام العسكري عليه السلام بين طرفي القول المذكور آنفًا ؛ إذ جعل عليه السلام الخصال التي لا يساويها شيء مقرونةً بالإيمان بالله عز وجل ونفع الإخوان، يمكن لحظ المعادلة المطروقة فيما يأتي :

* خصلتان ليس فوقهما شيء .

* الإيمان بالله ونفع الإخوان .

يُلحظ في الطرف الثاني من شقّ المعادلة أنّ الإيمان بالله عز وجل مقرون بطريقة العطف بحرف (الواو) الذي يفيد المشاركة والجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم. [٣٠] هذا العطف يؤكّد أنّ الإيمان بالله مقرون بنفع الإخوان، بدلالة أقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام وتأكيدهم هذه المسألة .

أمّا المعنى الضمني لهذا القول فهو تأكيد مراعاة الناس والتراحم فيما بينهم، وبذل الجهد في المساعدة وما إلى ذلك من الأمور التي تؤدّي إلى إصلاح شؤون المجتمع لما هو أصلح .

وقد ربط عليه السلام بين نفع الإخوان والإيمان بالله بوساطة حرف العطف (الواو) دون غيره من حروف العطف للتأكيد والمساواة بين هذين الأمرين وارتباطهما الارتباط الوثيق، كذلك لتعزيز مسألة مراعاة الناس فيما بينهم ؛ بوساطة الإشارة والتلميح للإيمان بالله عز وجل .

٥.قال عليه السلام : ((المؤمن بركة على المؤمن وحجّة على الكافر)) . [٣١]

الطريق الأقرب لوصول الإنسان إلى ربه عزّ وجلّ .

يُلحظ أيضًا في الطرف الأول من طرفي المعادلة النفي الحاصل في قوله عليه السلام (لا يُدرك)، ولفظة الإدراك تُطلق ويُراد بها بلوغ الشيء، أدرك فلان: بلغ علمه أقصى الشيء[٢٧] ؛ إذ نفى عليه السلام إدراك المرء لله عزّ وجلّ من دون هذه العبادة، ونفى وصوله إلى الله سبحانه وتعالى إذا كان بعيدًا عن القيام بصلاة الليل والمداومة عليها .

يتضّح من تفكيك العبارة ما لصلاة الليل من أهمية في حياة الفرد للوصول إلى ربه ونوال رضاه عزّ وجلّ، وإرشادهم للمداومة والحفاظ عليها .

٣.قال عليه السلام : في كتابه إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري : سترنا الله وإيّاك بستره وتوّلاك في جميع أمورك بصنعه .. فاعلم يقينًا إسحاق أنّه مَنْ خرج من هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلًا)) .[٢٨]

اطردّت المقابلة في طرفي المعادلة في قوله عليه السلام : (مَنْ خرج من هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلًا)، تُلحظ المعادلة بين طرفي القول :

* الخروج من الدنيا أعمى .
* يكون في الآخرة أعمى .

المعنى الصريح للعبارة متكوّن في لفظة (الأعمى) هذا ما يدلّ عليه المعنى القريب، أمّا الدلالة البعيدة التي أرادها الإمام عليه السلام هو عمى البصيرة (عمى القلب)، يؤكّد ذلك قوله عليه السلام في سياق القول : (ليس تُعمى الأبصار، ولكن تُعمى القلوب) .

المعادلة وردت في التقابل بين لفظتي (العمى) في الشطرين الأول والثاني للدلالة في الأولى على (عمى البصيرة)، وللدلالة في الثانية على (قُبح العاقبة) والعاقبة السيئة لَمَنْ لم يتّعظ في الدنيا بمواعظ الآخرة .

وقد ربط عليه السلام المعادلة الحاصلة بعلاقة شرطية بدلالة (مَنْ) الواردة في الشطر

وردت هذه العبارة في قولٍ للإمام علي ﷺ يؤكّد فيها الرابطة القوية بين الفرد والإمام في التمسّك بأمور الدين، قال : ((مَنْ كان من شيعتنا عالمًا بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به، جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضيء لأهل جميع العرصات وعليه حلّة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا)) . [٢١]

٢.قال ﷺ : ((إنّ الوصول إلى الله ﷻ سِفرٌ لا يُدرك إلّا بامتطاء الليل)) . [٢٢]

وردت العديد من الإشارات في أقوال الرسول ﷺ والأئمة ﷺ فيما يخص أهمية صلاة الليل والحث على القيام بها، من ذلك وصيته ﷺ للإمام علي ﷺ قال : ((يا عليّ عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل)) . [٢٣]

وذلك ((لأنّ ناشئة الليل هي أشدّ وطأة وأقوم قيلًا فلا مطية كالليل وإحيائها، ولا امتطاء كامتطائها بالتهجّد والقيام)) [٢٤].

فأفضل الراحة تكون بقيام الصلاة والدعاء والذِكر، وأفضل الزاد في هذا الأمر هو التقوى . [٢٥]

كل هذه الأقوال تؤكّد أهمية قيام الليل بالصلاة والدعاء، أمّا ما ذكره الإمام العسكري ﷺ في القول المذكور آنفًا، يبيّن التقابل اللغوي بين طرفي القول :

* الوصول إلى الله ﷻ .

* لا يُدرك إلا بامتطاء الليل .

على الرغم من كثرة العبادات المفروضة على العبد في حياتهِ ؛ إلا أنّ الأئمة ﷺ أكّدوا أهمية (قيام الليل) كما موّضح من قول الإمام العسكري والإمام عليّ ﷺ.

يُلحظ التعبير البلاغي الوارد في الطرف الثاني من المعادلة في قوله : (امتطاء الليل)، فلفظة الامتطاء تُطلق ويُراد بها امتطاء الدابة، [٢٦] استعارها الإمام ﷺ لتأكيد أنّ مسألة قيام الليل مسألة ليست بالهيّنة، ولا يستطيع كلّ إنسان الحفاظ عليها، وهي

المبحث الأول : أقوال الإمام العسكري عليه السلام النافعة للإنسان في أمور دينه :

أكّد الإمام العسكري عليه السلام في العديد من حِكمه ، ورسائله ما ينفع الإنسان في دينهِ، سواء أكانت تلك النصائح من طريق الأسلوب المباشر، أو باستعمال الأساليب المجازية التي تكون أكثر تأثيرًا من غيرها، وأكثر توكيدًا للمعنى، من ذلك المعادلات الواردة في أقواله عليه السلام :

١.قال العسكري عليه السلام : ((قال حدّثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : أشدّ من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يُتمُ يتيمٍ انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه)) . [٢٠]

يُلحظ في هذا القول الاطّراد الحاصل بين طرفي القول :

* أشدّ من يُتم اليتيم .

* يتم مَنْ انقطع عن إمامه .

(اليتيم) في هذا القول كناية المنقطع عن دينه، والدين كما يعلم الإنسان لا يمكن التمسّك به إلا بوساطة الإمام الذي يُرشده إلى طريق الحق ؛ إذ استعمل لفظ (اليتيم) في التعبير عن الانقطاع عن الدين والأئمة، كما هو انقطاع الابن عن والده في حال وفاة الأب، ولا رابطة أقوى من علاقة الابن بولده . ولا بلاغة أكبر من هذا التعبير في حالة التعادل بين شقي القول المذكور آنفًا (يُتم اليتيم)، و(يتم المنقطع عن الدين) .

اختار الإمام عليه السلام لفظ (اليتيم) ؛ لأنّ فقدان الأب أو الأم أو الوالدين بصفةٍ عامة له كبير أثر في نفس اليتيم، وضّح بهذا التعبير أنّ هذا الأثر الذي سيحصل بفقدان الوالدين أو أحدهما، سيكون له الأثر الأكبر عند فقد الدين أو فقد الصلة الرابطة بالدين وهو (الإمام)، وذلك باستعماله كمال الاتّصال بين الجملتين المذكورتين آنفًا، وذكره لفظة (أشدّ) ؛ للدلالة على عظيم الأثر الحاصل.

٢.أسلوب القصر :

من الأساليب التي تشتمل على طرفين أيضًا لا يمكن الفصل بينهما ؛ إذ لا بد من توافر (المقصور) و(المقصور عليه)[١٦] ؛ لغرض إتمام عملية القصر، مثال ذلك : (إنّما محمدٌ شهابٌ من الله)، هذا ما يخص القصر بـ (إنّما) .

وقد يكون القصر من طريقٍ ثانية بوساطة (النفي مع الاستثناء) مثال ذلك : (لا يفوز إلا المجدّ) .[١٧]

٣.أسلوب الشرط :

إنّ أسلوب الشرط قائمٌ أساسًا على جملتين، الأولى منهما ناقصة المعنى إذا لم تكتمل بالثانية، يؤكّد ذلك العكبري في قوله : إنّ الشرط وجوابه بمنزلة العلّة من المعلول،[١٨] مثال ذلك : إذا جئتَ سوف أسعد .

وهذه المعادلات في هذه الأساليب اللغوية عبارة عن كلام موّجه من مرسل إلى مستمع، والكلام الذي يوجّه من المرسِل إلى السامع، ليس مجرّد ألفاظ أو أصوات تُطلق ؛ إنّما تتحوّل هذه الأصوات إلى دلالات، والمتكلّم في الوقت نفسه في أثناء الكلام وقبله وبعد إطلاقه العبارات تقوم في نفسه العديد من العمليات العقلية والنفسية ؛ لكي تؤدّي المعنى المُراد المؤثّر في نفس المتلقّي .[١٩]

هذا كلّه ما يخص الإنسان البسيط العادي في تعامله مع الإنسان الآخر، فما بالك بالأئمة عليهم السلام، الذين لا ينطقون عن الهوى، وكلّ لفظٍ يُطلق منهم لدلالةٍ محدّدة مدروسة عن درايةٍ وعلمٍ كبيرينِ .

مقدّمة موجزة عن المعادلة في اللغة :

ورد معنى المعادلة في معجم مقاييس اللغة، جاء فيه : ((العين والدال واللام أصلان صحيحان لكنّهما متقابلان كالمتضادين، أحدهما يدلّ على استواء والآخر يدلّ على اعوجاج)) .[٩] والمعادلة موضوع الدراسة على وزن مفاعلة مشتقة من هذا الأصل ؛ لبيان طرفين من الأطراف أحدهما يجب اتّباعه والآخر يجب تجنبه .

أمّا ((اللام والغين والحرف المعتل أصلان صحيحان : أحدهما يدلّ على الشيء لا يُعتدّ به، والآخر على اللهج بالشيء .. لغِي بالأمر، إذا لهج به، ويُقال إنّ اشتقاق اللغة منه، أي يلهج صاحبها بها)) .[١٠]

والمعادلات أساسها الربط بين عنصرين على نحوٍ محدّد، هذه المعادلات غالبًا ما توجد في القرآن الكريم، والعديد من أقوال الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.[١١]

يمكن توضيح ذلك بمثالٍ من القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم ﴾ .[١٢] طرفا المعادلة محدّد بموضوعين (الشكر وزيادة النِعم) .[١٣]

وعلى هذا الأساس انطلق البحث من مفهوم المعادلة القائم على عنصرين متحدّين، لا يمكن فهم المعنى بواحدٍ منهما دون الآخر، يتضّح ذلك في اللغة من خلال موضوعاتٍ عدّة، يمكن توضيحها بالآتي :

١.كمال الاتّصال :

يُقصد ويراد به ((اتّحاد جملتين اتّحادًا تامًا ؛ إذ تكون الجملة الثانية توكيدًا للأولى، أو لا بدّ منها، أو بيانًا لها مثاله قال تعالى : ﴿ فمهّل الكافرين أمهلهم رويدًا ﴾ [١٤]))[١٥]

في هذه الآية تُرك العطف ؛ لتوافق الجملتين لفظًا ومعنى، وبذلك انتفت الحاجة لحرف العطف في هذه الآية وما يشابهها .

المِهاد :

مقدّمة موجزة عن الإمام العسكري عليه السلام :

هو ((ابن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجّاد بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين عليهم السلام)). [١]

تسلسله الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وُلِد بالمدينة المنوّرة سنة (٢٣٢ هـ)، وعاش في سامراء مع والده، ذُكِر عنه عليه السلام الاتّصاف بالسكون والعفاف والنُبل والعديد من الصفات الحميدة في عصره، كان مرجعًا للعلماء والفقهاء من مختلف البلدان، كانوا على اتّصالٍ به من طريق المراسلة والمكاتبة من بلدانٍ أخرى ؛ للإفادة من علمه وفقهه عليه السلام . [٢]، كان عليه السلام يتصّف بصفاتٍ عديدة : الشخصية الفذّة، واجتذاب القلوب، والهيبة، والجلالة في النفوس . [٣]

عاش الإمام عليه السلام ظروفًا شديدة من الرقابة ؛ إذ كان عليه السلام يقوم بأمور الإمامة تحت الرقابة واليقظة الشديدتين ؛ للحفاظ على المذهب والعقيدة من الأعداء، وقد لقّب بألقابٍ عدّة، [٤] من ألقابه عليه السلام ((الحسن الأخير، الزكي، العسكري، العسكري الثاني، النقي، الطاهر، ... إلخ من الألقاب المباركة)) . [٥]

وكان يكنّى عليه السلام بـ ((أبي محمد الحسن بن علي، أبي الحسن، أبي القائم، ابن الرضا، وأبي حجّة الله)) . [٦]

حُبِس عليه السلام أكثر من مرّة في مدّة إمامته عليه السلام وذلك بأمر من الخلفاء (المعتز، والمهدي، والمعتمد) [٧]

تُوفي عليه السلام بسامراء في الثامن من شهر ربيع الأول سنة (٢٦٠ هـ)، ودُفِن قرب قبر أبيه عليه السلام، وقيل : قد كان السبب في قتلهِ دسّ المعتمد السم القاتل له . [٨]

المقدِّمة :

إنّ المعادلات اللغوية تخصّ الموضوعات التي تعتمد في اللغة على جملتين مترابطتين في المعنى ؛ إذ لا تتّم واحدة دون التحاقها بالأخرى، ويرد ذلك كثيرًا في أسلوب الشرط المكوّن من جملة الشرط وجوابه، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾، وقوله تعالى :﴿ لئن شكرتُم لأزيدنّكم ﴾ . وكذلك أسلوب القصر الذي يتكوّن بدوره من المقصور والمقصور عليه ؛ إذ لا يمكن الاستغناء عن واحد من الطرفين لغرض إتمام المعنى، مثال ذلك قوله تعالى :﴿ إنّما المؤمنون إخوة ﴾، وغيرها العديد من الأساليب التي لا يمكن فيها بحال الاستغناء عن واحدةٍ من الجملتين؛ لارتباطهما ارتباطًا تامًا، واتحادهما اتحادًا كبيرًا، لذلك أُطلق عليها (المعادلة) .

وقد كان السبب في اختيار هذا العنوان ودراسته في أقوال الإمام العسكري عليه السلام مستندًا إلى الدراسات السابقة في المعادلات القرآنية القائمة في أساس تكونيها على اللغة، على الرغم من تعدد توجهاتها، لا سيّما أسلوب الشرط، وأسلوب القصر، وأسلوب الفصل القائم على كمال الاتّصال بين جملتين مترابطتين في اللفظ والمعنى.

وعلى أساس ذلك قُسِّم هذا البحث الموسوم بـ (معادلات لغوية في أقوال الإمام العسكري عليه السلام) على مبحثين مسبوقين بمقدّمةٍ ومِهادٍ نظريّ يوضّح نبذة من حياة الإمام العسكري عليه السلام، معنى المعادلة اللغوية الذي أرادته الباحثة. وقد خصص المبحث الأول لدراسة المعادلات اللغوية في أقوال الإمام العسكري عليه السلام النافعة للإنسان في دينه، وخُصّص المبحث الثاني في المعادلات اللغوية الخاصة بأقوال الإمام العسكري عليه السلام النافعة للإنسان في دنياه، متبوعًا بخاتمة توضّح أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج، وثبت بالمصادر والمراجع المستعملة في البحث .

Abstract:

Linguistic formula appears in many speeches to clarify many matters that concern man and it was mentioned first in the Glorious Quran. As it is the first sacred text that indicates what to follow and what to avoid, and what is beneficial and harmful to him in the matters of his life.

The words of the Messenger and his pure progeny could not do without these formulas that confirm and show to him what is beneficial for a person in his religion and world alike. Their words represent a light that illuminates his path .

The formula under study tackles the sayings of Imam al-Askari in two parts : the first represents the advice, and the second does the result of the advice or effect that will be stemmed from the formula .The researcher chooses the term, formula, exclusively to express the result and effect in sentences that mainly depend on two related sentences, as in condition, block language, the style of the separation represented by the perfection of communication, as will be explained later.

key words:
formula, language , Imam Al-`Askari

ملخّصُ البحث:

قد ترِد المعادلات اللغوية في العديد من الخطابات اليومية لبيان العديد من الأمور التي تهم الشخص، وقد وردت أول الأمر في القرآن الكريم ؛ لكونه النص الأول المقدّس الذي جاء لبيان ما يجب اتباعه وما يجب تجنبه، وبيان ما ينفع وما يضرُّ في أمور الحياة .

ولا يخلو كلام الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من هذه المعادلات، التي تؤكّد وتبيّن ما يفيد الإنسان في دينه ودنياه على السواء ؛ إذ تمثّل كلماتهم عليهم السلام نبراسًا يضيء للإنسان دربه وينوّر طريقه .

وقد تمثّلت المعادلة موضوع الدراسة بدراسة أقوال الإمام العسكري عليه السلام، وذلك بدراسة شقّي القول، يمثل الشطر الأول منهما موضع النصيحة، ويمثّل الشطر الثاني من المعادلة النتيجة من النصيحة أو الأثر الذي سيتم من المعادلة، وقد اتخذّت الباحثة لفظ (المعادلة) دون غيرها للتعبير عن النتيجة والأثر في الجمل التي تعتمد في الأساس على جملتين مترابطتين كأسلوب الشرط، والقصر، وأسلوب الفصل المتمثّل بـ (كمال الاتّصال) كما سيتضّح فيما يأتي .

الكلمات المفتاحية:

المعادلة، اللغة، الإمام العسكري عليه السلام

"في التسليم للعترة الطاهرة"

معادلات لغوية في أقوال الإمام العسكري عليه السلام

Linguistic Formula in Imam Al-`Askari Sayings

م.د. هديل حسن عباس

Dr. Hadeel Hassan `Abbas

العراق/ كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة–بغداد/

قسم اللغة العربية

Iraq/College of Imam Al-Kadhim of Islamic Sciences University/ Baghdad Departments/ Arabic Language Department

hhadeel549@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
* مسند الإمام الهادي عليه السلام: جمعه ورتبه:عزيز الله العطاردي، الطبعة الثانية، انتشارات عطارد، إيران، ١٣٩١.
* المفردات في غريب القران، أبو القاسم الحسين بن محمد معروف بن راغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تح/ صفوان عدنان الداودي، د.ط، دار القلم- بيروت، ١٤١٢هـ.
* معاني النحو، فاضل الصالح السامرائي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ٢٠٠٠م.
* معجم علوم العربية، محمد ألتنوجي، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٣م.
* من أروع ما قاله الإمام علي الهادي عليه السلام: محسن عقيل، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
* مُهج الدعوات و منهج العبادات: العالم رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس(ت٦٦٤هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ.
* موسوعة الإمام الهادي إعداد معهد باقر العلوم عليه السلام منظمة الإعلام الإسلامي، محمود الشريفي- السيد حسين سجادي تبار-علي غلامي، الشركة الدولية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.
* موسوعة الإمام الهادي عليه السلام: أبو الفضل الطباطبائي، أبو الفضل الإسماعيلي، إشراف: أبو القاسم الخزعلي، الطبعة الأولى، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، قسم المشرفة، ١٤٢٣هـ، برنامج ألكتروني.
* موسوعة الإمام الهادي عليه السلام: يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار المنهاج، د.ط، د.ت.
* المواهب معجم لألفاظ قرآنية مستخلص من تفسير مواهب الرحمن للسيد عبد الأعلى السبزواري، أياد محمد علي الأنارؤوطي، الطبعة الأولى، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العراق، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦.
* ميزان الحكمة ، محمد الريشهري، د.ط، دار الحديث – قم، ١٤٢٢هـ.
* الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، تأريخ الإصدار، ١٤١٧هـ.
ثانيا: اللقاءات الشخصية:
لقاء مع الأستاذة نادية فاضل حنتوش الظالمي، شهر تشرين الأول/ ٢٠٢٠.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

* أدب الشريعة الإسلامية دراسة جديدة في بلاغة نصوص القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوما، د.محمود البستاني، ط١، مؤسسة السبطين العالمية، ١٤٢٤هـ.

* أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

* إعراب القران وبيانه، محيي الدين بن احمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، ط٤، دار الإرشاد للشؤون الجامعية–سوريا، ١٤١٥هـ.

* بحار الأنوار، محمد تقي المجلسي، الطبعة: الثانية المصححة، ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م.

* تحف العقول عن آل الرسول(صلى الله عليهم)، أبو محمد حسن بن علي بن شعبة الحراني (ت حدود ٤٠٠هـ)، عني بتصحيحه والتعليق عليه/ علي أكبر غفاري، ط١، دار الكتاب العربي، بغداد، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

* التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تح/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

* تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان، د.ت.

* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تح/ احمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين–بيروت، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

* الصحيفة السجادية الكاملة: للإمام زين العابدين ﷺ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م.

* الصحيفة الهادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن محمد الهادي ﷺ، السيد محمد باقر نجل آية الله السيد مرتضى الموحد الأبطحي، تحقيق ونشر:مؤسسة الإمام المهدي(عج)، قم المقدسة، ط٢، مطبعة أنصار المهدي(عجل الله فرجه)، ١٤٢٧هـ.

* العين:، أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي البصري(ت ١٧٠هـ)، تح/ د. مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، د.ط، دار مكتبة الهلال، د.ت.

* الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تح/ أحمد إبراهيم سليم، د. ط، دار العلم والثقافة– مصر، د.ت.

* لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري(ت ٧١١ه)، ط٣، دار صادر –بيروت، ١٤١٤هـ.

* المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –

٢٥) العين: ٧/ ١٥٩.
٢٦) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٤/ ٣٧٨.
٢٧) مفرادات الراغب الأصفهاني: ٦٦٢.
٢٨) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ١١٦.
٢٩) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٧/ ٢٨٨.
٣٠) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٤٩.
٣١) ينظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ٦٨١.
٣٢) المصدر نفسه: ١٨١.
٣٣) التعريفات: ١٥٥.
٣٤) المصدر نفسه: ٢٢١.
٣٥) الصحاح:مادة عقل.
٣٦) العين: ٣/ ١٨٥.
٣٧) مهج الدعوات: ٣٢٥.
٣٨) العين: ٣/ ٣٨٦.
٣٩) مهج الدعوات: ٣٢١.
٤٠) ينظر: الصحاح: مادة شرى.
٤١) ينظر: الصحاح: مادة كرث.
٤٢) معاني النحو:١/ ٩٧.
٤٣) معجم علوم العربية: ٤٧٦.
٤٤) مهج الدعوات: ٣٢١.
٤٥) العين: ٤/ ٣٧٢.

هوامش البحث

١) أدب الشريعة دراسة جديدة في بلاغة القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوما: ٣٥١.

٢) سبق وإن كتبت بحثا في كلام الهادي ﷺ موسوما بـ(الاستشهاد بالنص القرآني في كلام الإمام الهادي ﷺ، في المؤتمر العلمي الأول الإمام الهادي ﷺ عبق النبوة وعماد السلام المجتمعي الذي أقامه مركز تراث سامراء بالتعاون مع كلية الدراسات القرآنية/ جامعة بابل، ١٩ شعبان ١٤٣٩ه الموافق ٦/ ٥/ ٢٠١٨. وقدر صدر قبل أشهر قلائل وقائع المؤتمر عن مركز تراث سامراء في أجزاء ثلاث.

٣) العين: ٨/ ١٦٤.

٤) الصحاح: مادة ظلم.

٥) مفردات غريب القرآن: ٥٣٧.

٦) أساس البلاغة: ٦٢٦.

٧) ينظر: الصحاح مادة ظلم، ومفردات الراغب: ٥٣٧، ولسان العرب: مادة ظلم.

٨) لقاء شخصي مع الأستاذة نادية فاضل حنتوش الظالمي، يوم ٩/ ١٠/ ٢٠٢٠.

٩) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٥٣٧، وينظر: المواهب معجم لألفاظ قرآنية: ٢/ ٥٠-٥١.

١٠) مفردات الر اغب: ٥٣٨.

١١) لقاء شخصي مع الأستاذة نادية فاضل الظالمي: يوم ١٧/ ١٠/ ٢٠٢٠.

١٢) العين: ٨/ ١٦٤.

١٣) التعريفات: ١٤١.

١٤) الصحيفة السجادية: ١٨٧.

١٥) بحار الأنوار: ٩٨/ ٣١٩.

١٦) تحف العقول: ٤٨٣، الميزان الحكمة: ٢/ ١٣١٦.

١٧) موضوع العفو فيه تفاصيل كثيرة وهو كتاب تحت الطبع والمراجعة.

١٨) بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٣٥.

١٩) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

٢٠)مهج الدعوات: ٣٢٠، بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٣٦،

٢١) مهج الدعوات: ٣٢٠، بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٣٦،

٢٢) الفروق اللغوية: ١٨٦.

٢٣) المحكم والمحيط الأعظم: ١٠/ ٣٨١.

٢٤) ينظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ٥٤٢.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة البحثية في تراث الإمام الهادي عليه السلام، والاستنارة بنور هدايته، توصل البحث لبعض النتائج أُجملها على النحو الآتي:

١.تنوعت الأدعية المنقولة عن الإمام الهادي عليه السلام في طولها وقصرها، وكان من أطولها الدعاء محل الدراسة في هذا البحث هو دعاء المظلوم على الظالم.

٢.تعدّدت معاني الظلم في القرآن الكريم، وكانت لهذه اللفظة سياقات مختلفة، وتنوعت دلالات هذه اللفظة وسياقاتها في دعاء المظلوم على الظالم للإمام الهادي عليه السلام.

٣.أقرّ البحث تنوع الظلم إلى الظلم الشرعي والظلم الأخلاقي والظلم العقائدي، وقد بيّناه في موضعه.

٤.دلالة الظلم تنقسم لمعنيين هما الظلام والجور بعكس النور والعدالة فكل خروج عن الهداية وأنوار العلم فهو ظلم، وكذا الحال بالخروج عن طريق الاعتدال والاستقامة هو جور، ويدخل الإنسان في ظلام الجهل والجور بظلم نفسه في كلّ لحظة.

٥.التغاير الدلالي في استعمال المفردة بدا واضحا في دعاء الإمام الهادي عليه السلام وقد أشار البحث لنماذج منها كما في لفظة (الجهاد).

٦.كثُر التوازي التركيبي لمعان دلالية مقصودة في سياقات متنوعة وقد بان ذلك واضحا في لغة الدعاء.

٧.تنوعت الأساليب الإنشائية والخبرية في دعاء الإمام الهادي عليه السلام، وقد اُستخدمت الأساليب البلاغية على نحو كبير من الدقة وبحسب الأهمية...

وامْنَعْنِي مِنْهُ بِمَنْعِتِكَ الَّتِي كُلُّ خَلْقٍ فِيهِ ذَلِيلٌ وَابْتَلِهِ بِفَقْرٍ لَا تَجْبُرُهُ وَ بِسُوءٍ لَا تَسْتُرُهُ وَ كِلْهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيمَا يُرِيدُ إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ وَأَبْرِئْهُ مِنْ حَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ وَكِلْهُ إِلَى حَوْلِهِ وَ قُوَّتِهِ وأَذِلّ مَكْرَهُ بِمَكْرِكَ وَادْفَعْ مَشِيَّتَهُ بِمَشِيَّتِكَ وَأَسْقِمْ جَسَدَهُ وَأَيْتِمْ وُلْدَهُ وَانْقُصْ أَجَلَهُ وَخَيِّبْ أَمَلَهُ وَ أَزِلْ دَوْلَتَهُ وَأَطِلْ عَوْلَتَهُ واجْعَلْ شُغُلَهُ فِي بَدَنِهِ وَلَا تَفُكَّهُ مِنْ حُزْنِهِ وَصَيِّرْ كَيْدَهُ فِي ضَلَالٍ وَأَمْرَهُ إِلَى زَوَالٍ وَ نِعْمَتَهُ إِلَى انْتِقَالٍ وَجِدَّهُ فِي سَفَالٍ وسُلْطَانَهُ فِي اضْمِحْلَالٍ وَعَاقِبَتَهُ إِلَى شَرِّ مَآلٍ وَأَمِتْهُ بِغَيْظِهِ إِذَا أَمَتَّهُ وَأَبْقِهِ لِحُزْنِهِ إِنْ أَبْقَيْتَهُ وقِنِي شَرَّهُ وَ هَمْزَهُ وَ لَمْزَهُ وَ سَطْوَتَهُ وَعَدَاوَتَهُ وَالْمَحْهُ لَمْحَةً تُدَمِّرُ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّكَ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا.

وورد في هذا المقطع الأخير صيغتا نهي في قوله عليه السلام:(وَلَا تَدَعْ لَهُ جُنَّةً إِلَّا هَتَكْتَهَا..)، و(وَلَاتَفُكَّهُ مِنْ حُزْنِهِ) وبما أنّ النهي قد صدر من أدنى رتبة لأعلى رتبة –لله تعالى– فقد خرج النهي للدعاء، وورد الجناس الاشتقاقي في بعض الموارد: **(وَمَزِّقْ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ وَفَرِّقْ...، وَقُدْرَتَكَ الَّتِي هِيَ فَوْقَ قُدْرَتِهِ...، وامْنَعْنِي مِنْهُ بِمَنْعِتِكَ...، وأَذِلّ مَكْرَهُ بِمَكْرِكَ...، وَادْفَعْ مَشِيَّتَهُ بِمَشِيَّتِكَ...، وَأَبْقِهِ لِحُزْنِهِ إِنْ أَبْقَيْتَهُ...، وَالْمَحْهُ لَمْحَةً تُدَمِّرُ بِهَا عَلَيْهِ...)**.

وكانت الأفعال في غرضها لطلب الدعاء بحقّ الظالم... ومن المعلوم أنّ الأمر عندما يكون صادرا من الأدنى رتبة إلى أعلى رتبة يخرج لغرض الدعاء كما ورد في الدعاء...

• فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَخُذْهُ مِنْ مَأْمَنِهِ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ وَافْجَأْهُ فِي غَفْلَتِهِ مُفَاجَاةَ مَلِيكٍ مُنْتَصِرٍ وَاسْلُبْهُ نِعْمَتَهُ وَ سُلْطَانَهُ وَافْضُضْ عَنْهُ جُمُوعَهُ وَأَعْوَانَهُ وَمَزِّقْ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ وَفرِّقْ أَنْصَارَهُ كُلَّ مُفَرَّقٍ وَ أَعِرْهُ مِنْ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَمْ يُقَابِلْهَا بِالشُّكْرِ وَانْزِعْ عَنْهُ سِرْبَالَ عِزِّكَ الَّذِي لَمْ يُجَازِهِ بِالْإِحْسَانِ وَاقْصِمْهُ يَا قَاصِمَ الْجَبَابِرَةِ وَأَهْلِكْهُ يَا مُهْلِكَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَأَبِرْهُ يَا مُبِيرَ الْأُمَمِ الظَّالِمَةِ وَاخْذُلْهُ يَا خَاذِلَ الْفِئَاتِ الْبَاغِيَةِ وَابْتُرْ عُمُرَهُ وَابْتَزَّ مُلْكَهُ وَعفِّ أَثَرَهُ واقْطَعْ خَبَرَهُ وَأَطْفِئْ نَارَهُ وَأَظْلِمْ نَهَارَهُ وَكَوِّر شَمْسَهُ وَأَرْهِقْ نَفْسَهُ وَاهْشِمْ سُوقَهُ وجُبَّ سَنَامَهُ وَأَرْغِم أَنْفَهُ وَعَجِّلْ حَتْفَهُ وَلَا تَدَعْ لَهُ جُنَّةً إِلَّا هَتَكْتَهَا وَلَا دِعَامَةً إِلَّا قَصَمْتَهَا وَلَا كَلِمَةً مُجْتَمِعَةً إِلَّا فَرَّقْتَهَا وَلَا قَائِمَةَ عُلُوٍّ إِلَّا وَضَعْتَهَا وَلَا رُكْناً إِلَّا وَهَنْتَهُ وَ لَا سَبَباً إِلَّا قَطَعْتَهُ وَأَرِنَا أَنْصَارَهُ وَجُنُودَهُ وَأَعْوَانَهُ وَأَحِبَّاءَهُ وَأَرْحَامَهُ عَبَادِيدَ بَعْدَ الْأُلْفَةِ وَشَتَّى بَعْدَ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ وَمُقْنِعِي الرُّءُوسِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَى الْأُمَّةِ وَاشْفِ بِزَوَالِ أَمْرِهِ الْقُلُوبَ المنقلبة الْوَجِلَةَ وَالْأَفْئِدَةَ اللَّهِفَةَ وَالْأُمَّةَ الْمُتَحَيِّرَةَ وَالْبَرِيَّةَ الضَّائِعَةَ وَأَدِلْ بِبَوَارِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ وَالسُّنَنَ الدَّائِرَةَ وَالْأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ وَالْمَعَالِمَ الْمُغَيَّرَةَ والتلاوات المتغيرة وَالْآيَاتِ الْمُحَرَّفَةَ وَالْمَدَارِسَ الْمَهْجُورَةَ وَالْمَحَارِيبَ الْمَجْفُوَّةَ وَالْمَسَاجِدَ الْمَهْدُومَةَ وَأَشْبِعْ بِهِ الْخِمَاصَ السَّاغِبَةَ وَارْوِ بِهِ اللَّهَوَاتِ اللَّاغِبَةَ وَالْأَكْبَادَ الظَّامِئَةَ وَأَرِحْ بِهِ الْأَقْدَامَ الْمُتْعَبَةَ وَاطْرُقْهُ بِلَيْلَةٍ لَا أُخْتَ لَهَا وَبِسَاعَةٍ لَا شفاء فِيهَا وَبِنَكْبَةٍ لَا انْتِعَاشَ مَعَهَا وَ بِعَثْرَةٍ لَا إِقَالَةَ مِنْهَا وَأَبِحْ حَرِيمَهُ وَنَغِّصْ نَعِيمَهُ وَأَرِهِ بَطْشَتَكَ الْكُبْرَى وَنَقِمَتَكَ الْمُثْلَى وَقُدْرَتَكَ الَّتِي هِيَ فَوْقَ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانَكَ الَّذِي هُوَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِهِ وَ اغْلِبْهُ لِي بِقُوَّتِكَ الْقَوِيَّةِ وَمِحَالِكَ الشَّدِيدِ

الْمَاضِيَةِ أَنَّهُ يُنِيبُ أَوْ يَتُوبُ أَوْ يَرْجِعُ عَنْ ظُلْمِي أَوْ يَكُفُّ عَنْ مَكْرُوهِي وَ يَنْتَقِلُ عَنْ عَظِيمِ مَا رَكِبَ مِنِّي، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَوْقِعْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ السَّاعَةَ السَّاعَةَ قَبْلَ إِزَالَةِ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ وَتَكْدِيرِ مَعْرُوفِكَ الَّذِي صَنَعْتَهُ عِنْدِي وَإِنْ كَانَ عِلْمُكَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامٍ عَلَى ظُلْمِي فَإِنِّي أَسْأَلُكَ يَا نَاصِرَ الْمَظْلُومِ الْمُبْغِيِّ عَلَيْهِمْ إِجَابَةَ دَعْوَتِي..

نلحظ في هذا المقطع المسائل الآتية:

١ .توكيد الكلام بضرّ الظلامة من فلان... الذي كنّى عنه الإمام عليه السلام.

٢ . توجيه الخطاب لله عزّ وجلّ أنّ ما جرى بحلمك وإمهالك للظالم كاد يوجهني للقنوط لولا الثقة واليقين بوعد الله لنصرة المظلوم ولو بعد حين.

٣.الشرط في الدعاء وإن قلّ في الطلبة، فقد صدر في:(**فَإِنْ كَانَ فِي قَضَائِكَ النَّافِذِ وَقُدْرَتِكَ الْمَاضِيَةِ أَنَّهُ يُنِيبُ أَوْ يَتُوبُ أَوْ يَرْجِعُ عَنْ ظُلْمِي أَوْ يَكُفُّ عَنْ مَكْرُوهِي وَ يَنْتَقِلُ عَنْ عَظِيمِ مَا رَكِبَ مِنِّي، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَوْقِعْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ السَّاعَةَ السَّاعَةَ قَبْلَ إِزَالَةِ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ..**)، ففي هذا النص الشرط في كون الظالم إن كان في علم الله وقضائه أن له من توبة أو إنابة أو رجوع عن ظلم فتوجه بالإنشاء الطلبي بأسلوب الأمر الخارج لمعنى الدعاء أن يوقع الله في قلبه ما تقدّم الساعة وتوكيد الساعة بتكرارها اللفظي لتوكيد طلب هداية الظالم، منتقلا بالتوسل أن تكون إجابة الدعاء وعيا منه شكرا على النعمة التي أنعمها الله على عبده المظلوم بإجابة دعوته..

٤ .وترك الداعي احتمال أن يكون هذا الظلم لمقام يرزقه الله للمظلوم أو في علم الله غير ذلك..، فسأل الله إجابة الدعوة..

• وفي المقطع الأخير، تنوعت الأساليب الإنشائية والخبرية، ولا سيما ما يتعلق بأسلوب الأمر وصيغة فعل الأمر حيث ورود فعل الأمر **في خمسين موضعا تمت الإشارة إليها جميعا باللون الغامق ووضع الخط تحت الفعل،**

العدل بعد الجور والنور بعد الظلم وظلام الجهل، في يوم يكون الوقت قد تحققت الحكمة الإلهية فضلا عن يقظة صاحب الحق ووعيه بذلك، فقد يكون المظلوم هو الذي حقق الانتقام بطلب العقوبة وهي إحدى القوانين المختصة بالعفو بحسب ما يستحقه كل منهما الظالم والمظلوم...فانتقل من التوكيد بـ(أنّ) إلى النداء بالإنشاء الطلبي .. وأمّا من كان ظالما وأعانه على ذلك شقوته فهو في علم الله تحت سطوته ويوقعه بما يستحقه من العقوبة التي بدأها أولا بظلمه لنفسه.

• **إِنَّهُ لَا يَسْبِقُكَ مُعَانِدٌ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ قَبْضَتِكَ مُنَابِذٌ وَلَا تَخَافُ فَوْتَ فَائِتٍ**

هذه جمل متوازية تركيبا منفية بـ(لا) نافية غير عاملة، الداخلة على الفعل المضارع، (**لا يسبقك، ولا يخرجك، ولا تخاف**)، وتأخذ دلالة المستقبل أنّ كل شيء بيد الله تعالى.

• **وَلَكِنْ جَزَعِي وَهَلَعِي لَا يَبْلُغَانِ بِيَ الصَّبْرَ عَلَى أَنَاتِكَ وَانْتِظَارِ حِلْمِكَ فَقُدْرَتُكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فَوْقَ كُلِّ ذِي قُدْرَةٍ وَسُلْطَانُكَ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ سُلْطَانٍ وَمَعَادُ كُلِّ أَحَدٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَمْهَلْتَهُ وَرُجُوعُ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَنْظَرْتَهُ**

• نلحظ في هذا المقطع تكرار بعض المضامين التي سبق وأن تعرض لها الطلب في الدعاء، ولكن تغير المواقف الدعائية والخطابات التي أقرّها الداعي لها دلالاتها، لذا نجد الداعي هنا يقرّ بجزعه عن الصبر عن حكمة الله فضلا عن معرفة موقفه من المظلوم، فيقدم بين يدي ربّه مناديا طالبا من قدرة الله وسلطانه، وتأخذنا الحكمة في تدقيق التفكر في قول الإمام الهادي عليه السلام: (**وَمَعَادُ كُلِّ أَحَدٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَمْهَلْتَهُ وَرُجُوعُ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَنْظَرْتَهُ**) فكل إنسان معرض أن يقع في موقع الظلم لنفسه أو للآخرين أو بينه وبين ربّه.

• **وَقَدْ أَضَرَّنِي يَا رَبِّ حِلْمُكَ عَنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ وَ طُولُ أَنَاتِكَ لَهُ وإِمْهَالُكَ إِيَّاهُ وَكَادَ الْقُنُوطُ يَسْتَوْلِي عَلَيَّ لَوْلَا الثِّقَةُ بِكَ وَالْيَقِينُ بِوَعْدِكَ فَإِنْ كَانَ فِي قَضَائِكَ النَّافِذِ وَقُدْرَتِكَ**

أَمَرْتَنِي بِهِ لَا مَنًّا عَلَيْكَ وَ كَيْفَ أَمُنُّ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيْهِ دَلَلْتَنِي فصلّ على محمد وآل محمد فَاسْتَجِبْ لِي كَمَا وَعَدْتَنِي يَا مَنْ (لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ).

ينتقل الدعاء في هذا المقطع إلى الاستشهاد المباشر للنص القرآني، بما يتعلق بنصرة المظلوم وإجابة الدعاء.. وهذا ما قدّمه قبل الآيات التي يطلب فيها النصرة وإجابة الدعوة:

• قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾[الحج:٦٠].

• وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].

• وقوله تعالى: ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[آل عمران:٩].

كما نلمح في أدب الدعاء في هذا المقطع مسائل منها:

١. نداء المولى عزّ وجلّ، وجاء بأداة النداء توكيدا وإن كان قريبا ولا حاجة للأداة.

٢. ذكر أوصاف وأحوال الداعي المظلوم الذي يطرح أموره بين يدي ربّه.

٣. الاستشهاد بالنص القرآني تأكيدا لأدب الدعاء وطلب الإجابة.

٤. تأكيد أنّ العبد فاعل ما أمر به الله الذي تفضل على عبده بما يفعل به.

٥. ذكر الصلاة على محمد وآل محمد من أدب الدعاء.

٦. طلب الإجابة بأنّه تعالى ذكره لا يخلف الميعاد.

• **وَإِنِّي لَأَعْلَمُ يَا سَيِّدِي أَنَّ لَكَ يَوْماً تَنْتَقِمُ فِيهِ مِنَ الظَّالِمِ لِلْمَظْلُومِ**

• **وَأَتَيَقَّنُ أَنَّ لَكَ وَقْتاً تَأْخُذُ فِيهِ مِنَ الْغَاصِبِ لِلْمَغْصُوبِ**

عمد الخطاب هنا إلى الأسلوب الخبري المؤدي فائدة الخبر بأنّ الله سيحقق

٢.يأسه من نفسه، والعبارة مبطنة بالاعتراف أيضا بظلم نفسه بالتباس الأمور عليه واشتباه الآراء عليه: (وَالْتَبَسَتْ عَلَيَّ أُمُورِي فِي دَفْعِ مَكْرُوهِهِ عَنِّي، وَاشْتَبَهَتْ عَلَيَّ الْآرَاءُ فِي إِزَالَةِ ظُلْمِهِ)، وجاء التعبير بكلّ وضوح.

٣.يأس المظلوم من نصرة الآخرين، فضلا عمن توقع عونهم: (وَخَذَلَنِي مَنِ اسْتَنْصَرْتُهُ مِنْ عِبَادِكَ، وَأَسْلَمَنِي مَنْ تَعَلَّقْتُ بِهِ مِنْ خَلْقِكَ).

٤.محاولات المظلوم من جهة أخرى بالاستشارة والاسترشاد: وعادت الدائرة بانغلاق الخطاب بالعودة لربّ العباد بالعون والنصرة: (وَاسْتَشَرْتُ نَصِيحِي فَأَشَارَ إِلَيَّ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَاسْتَرْشَدْتُ دَلِيلِي فَلَمْ يدُلَّنِي إِلَّا عَلَيْكَ فَرَجَعْتُ إليك).

• فرجعت إليك يَا مَوْلَايَ صَاغِراً رَاغِماً مُسْتَكِيناً عَالِماً أَنَّهُ لَا فَرَجَ لِي إِلَّا عِنْدَكَ وَلَا خَلَاصَ لِي إِلَّا بِكَ ...

في هذا المقطع يعرض الإمام عليه السلام لحال المظلوم بالإنشاء الطلبي بأسلوب النداء المتضمن معنى التوسل والاستعطاف بأداة النداء الأكثر شيوعا (يا مولاي)، وتلاه اسم الفاعل في أحوال المظلوم: (صَاغِراً رَاغِماً مُسْتَكِيناً عَالِماً)، قال الخليل: «الصَاغِرُ: الراضي بالضَّيْمِ»[٤٥]، أي: راضيا بالذل والهوان بين يدي ربّه، طالبا مستكينا وقد تلبست كل هذه الأحوال بالاسمية لتدل على الثبات والدوام أمام الله سبحانه، فإنّ الداعي عالم وقاطع بالنفي بـ(لا) نافية للجنس، فينفي المظلوم أنّ (لَا فَرَجَ لِي إِلَّا عِنْدَكَ وَلَا خَلَاصَ لِي إِلَّا بِكَ).

• أَنْتَجِزُ وَعْدَكَ فِي نُصْرَتِي وَإِجَابَةَ دُعَائِي فَإِنَّكَ قُلْتَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ وَ قَوْلُكَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُرَدُّ وَ لَا يُبَدَّلُ) وَمَنْ عٰاقَبَ بِمِثْلِ مٰا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ) وَقُلْتَ: جَلَّ جَلَالُكَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ) ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وأَنَا فَاعِلٌ مَا